1. هل افتـدانا المسيح على الصليب ؟

د. منقذ بن محمود السقار

عمل مشترك لموقعي

موقع أم الكتاب , موقع هداية الحيارى

info@omelketab.net

1.1 مقدمةالكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وبعد:

انتهينا في الحلقات الماضية من سلسلتنا – سلسلة الهدى والنور – إلى حقيقة واضحة وساطعة كما الشمس في رابعة النهار، فالكتاب المقدس – كما رأينا عمل بشري – لا يمثل كلمة الله بحال من الأحوال، وعليه فلا يصح الاستدلال به على أي من العقائد أو الأحداث الهامة، ومن ذلك الصلب والفداء.

وتنزلاً مع النصارى في الحوار، ورغبة في عدم غلق هذا الباب نعود لطرح

سؤالين هامين، أحدهما تاريخي، والآخر عقدي،

أولهما : هل صلب المسيح عليه السلام كما تذكر الأناجيل، وكما تجمع الفرق النصرانية المعاصرة؟

والسؤال الثاني، وهو متعلق بالسؤال الأول، ونطرحه جدلاً: إن قلنا بصلب المسيح فهل كان صلبه فداء لنا وللبشرية؟

وتثور تبعاً لهذا السؤال أسئلة كثيرة: مم الخلاص؟ من دينونة جهنم أم من نكد الدنيا وعثراتها؟ وهل الخلاص متعلق بذنب أبوينا –آدم وحواء– فقط أم يسري إلى كافة ذنوبنا وخطايانا؟ وهل للخلاص مشروط أم أنه منحة محبة من الله ومسيحه، وهي أعظم من أن يطلب لها مقابل؟

ثم هل الخلاص لليهود الذين اختص المسيح بهم في رسالته أم يمتد ليشمل الجنس البشري الذي ولد مسربلاً بالخطيئة؟

هذه الأسئلة وغيرها نجيب عنها في حلقتنا الرابعة من سلسلة الهدى والنور، ونجملها في سؤال يلُم شعثها: هل افتدانا المسيح على الصليب؟ نجيب عنه بموضوعية ومنهجية علمية، نقلب صفحات الأسفار المقدسة عند النصارى، ونحتكم وإياهم إلى العقل المجرد والفطرة السوية، مستشهدين بدلالة التاريخ وحكمة عقلائه من النصارى.

اللهم اهدنا لما اختلفنا فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

د. منقذ بن محمود السقار

مكة المكرمة – صفر – 1424هـ

1.2 صلب المسيح عند النصارى:

يعتبر النصارى حادثة صلب المسيح أحد أهم أحداث المعمورة، حيث يرون صلب السيد المسيح، ليتحمل عن البشر خطيئة أبيهم آدم، بل وخطاياهم جميعاً.

وتؤكد الأناجيل – في إصحاحات مطولة – صلب المسيح، ذاكرةً الكثير من تفاصيل القبض عليه، ومحاكمته، وصلبه، ثم دفنه، ثم قيامته، فصعوده إلى السماء.

وهكذا يرى النصارى أيضاً أن تجسد الإله في المسيح هذا الحدث العظيم –كان من أجل أن يصلب الإله، ويصور هذا توما الأكويني فيقول: « توجد أراء مختلفة، فيزعم البعض أن ابن الله كان سيتجسد حتى لو لم يخطئ آدم، ويرى البعض خلاف ذلك، ويبدو من الأصوب الانتماء إلى الرأي الثاني... الكتاب يقول لنا دائماً: إن خطية الإنسان الأول هي الدافع لتجسد ابن الله، وعليه يظهر أن هذا السر إنما رتبه الله كدواء للخطيئة ؛ بحيث إنه لولا الخطيئة لما كان التجسد » .

ويصور الكاردينال الإنجليزي – منينغ– أهمية حادثة الصلب في كتابه " كهنوت الأبدية" فيقول: « لا تخفى أهمية هذا البحث الموجب للحيرة، فإنه إذا لم تكن وفاة المسيح صلباً حقيقية، فحينئذ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هدم من الأساس، لأنه إذا لم يمت المسيح على الصليب، لا توجد الذبيحة، ولا النجاة، ولا التثليث.. فبولس والحواريون

وجميع الكنائس كلهم يدعون هذا، أي أنه إذا لم يمت المسيح لا تكون قيامة أيضاً » .

ويقول جوردن مولتمان في كتابه – الإله المصلوب : « إن وفاة عيسى علي الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية» .

إن كل النظريات المسيحية عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب .

وهذا ما أكد عليه –بولس– حين ألغى دور الناموس معتمداً على أن المسيح صلب عن الخطيئة، وأنه افتدانا بذلك من لعنة الناموس، فيقول:

« وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم » **كورنثوس –1 : 14/15.**

1.3 صلب المسيح عند المسلمين

وأما الرأي الإسلامي فيتلخص في أن المسيح عليه السلام لم يصلب كما يدعي اليهود والنصارى.

وقد استند علماؤنا – في هذا الرأي المخالف لما أجمعت عليه الأناجيل – إلى آيات القرآن الكريم وهي تقرر ذلك.

فقد أشارت الآيات إلى المؤامرة التي جرت للمسيح، وقررت أموراً يلحظها قارئ الآيات، فقد أشارت الآيات لنجاته في قوله: « ويكلم الناس في المهد وكهلاً » **آل عمران : 46**

والمعلوم أن المسيح رفع وهو في الثلاثينيات من عمره، والكهولة في

اللغة مقترنة بالمشيب، ولما يدركه المسيح حال وجوده الأول، فدل على أنه سيعيش ويبلغ الكهولة، ويكلم الناس حينذاك، ولو صرفت عن هذا المعنى لما بقي لذكر الكهولة – وكلامه فيها – وجه، إذ ذكرت بين معجزات المسيح، والكلام في الكهولة كل أحد يطيقه، ولا معجزة في ذلك.

وقد أشارت آية أخرى لنزوله في آخر الزمان وهي قوله « وإنه لَعِلْم للساعة فلا تمترن بها» الزخرف: 61 .

ومثله قوله تعالى « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » النساء : 159 .

وتتحدث الآيات أيضاً عن نجاة المسيح من مؤامرة أعدائه، فقد قال تعالى – في معرض تعداده لنعم الله على المسيح: « وإذ كففت بني إسرائيل عنك » المائدة: 110 .

« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » آل عمران: 54 . فقد أنجى الله نبيه – المسيح– من مؤامرتهم وكيدهم.

وتخبر الآيات عن بعض ملامح هذه المؤامرة التي حاكها اليهود « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً» . النساء: 157–158 .

وثمة آية أخرى تشير إلى رفعه ونجاته، وهي قوله تعالى: « إني متوفيك ورافعك

إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » آل عمران: 55 .

إذاً القرآن ناطق بنجاة المسيح من مكر الماكرين، ورفعه إلى السماء، وأن أعداءه الذين أرادوا صلبه وقعوا في الشك، فرفع المسيح، ثم يعود قبيل الساعة، فيكون علامة على قرب انقضاء الدنيا.

ولا تذكر النصوص القرآنية ولا النبوية أي تفصيل عن كيفية نجاة المسيح، لذا فقد حاول علماؤنا تلمس الحقيقة التي أخبر عنها القرآن في النقول التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب أو نقبوا بحثاً عن الحقيقة في طيات أسفار أهل الكتاب بحثاً عن هذه الكيفية التي نجى بها المسيح،

قوله تعالى « وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً » فالشك في الآية منصرف إلى شخصية المصلوب.

1.4 أهمية إبطال صلب المسيح عند المسلمين

يعتقد المسلمون أن الأنبياء كسائر البشر يموتون، وقد يكون موتهم قِتلةَ، ويحكي القرآن عن بني إسرائيل بأنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، وعليه فلا حرج عندنا في موت نبي بأي قتلة قتله بها سفهاء قومه ومجرموهم، فالقتل لا يضر النبي المقتول، بل هو من اصطفاء الله له.

فلماذا ذكر القرآن نجاة المسيح، وأصر على تكذيب النصارى في هذه المسالة ؟

ذكر القرآن الكريم نجاة المسيح لمجرد إثبات الحقيقة، وإثبات ضعف وعجز اليهود عن بلوغ مرامهم.

وثمة أسباب أخرى دعتهم لهذا المبحث منها: إدراكهم لخطر هذه العقيدة، وعظيم شأنها عند النصارى، فتقويضها يعني خواء النصرانية عن كل معنى، لذا يؤكد العلامة ديدات أن النصرانية لا تستطيع أن تقدم للناس أي فضيلة، سوى ما تزعمه من الخلاص بدم المسيح، فهي مثلاً لا تستطيع أن تقدم لنا نحن المسلمين الكرم أو النظافة أو.... فإذا ما بطل صلب المسيح، لم يبق للنصرانية مبرر للدعوة والوجود.

وفي الآثار العقدية لفكرة الصلب ما بجعلها هدفاً ينبغي التركيز عليه، ومن هذه الآثار الاضطراب في نظرة المسيحية للإله.

فقد ظهر في القرن الثاني الميلادي تلميذ شهير لبولس، اسمه مركيون، وكان يعتقد بأن إله اليهود الذي أعطى الناموس لموسى، وخالق العالم كان شريراً، وأما إله المحبة فقد ظهر في المسيح، وهو معارض تماماً لخالق العالم.

ويتصور مركيون محاكمة من المسيح لخالق العالم فيقول: « نزل يسوع إلى رب المخلوقات في هيئة لاهوته، ودخل معه في قصاص بسبب موته على الصليب قتلاً... قال له يسوع: إن الدينونة بيني وبينك، لا تدع أي شخص آخر يكون قاضياً، إنما شرائعك ذاتها تقضي لي... ألم تكتب في ناموسك أن من قتل يقتل ؟

وعندئذٍ أجاب – إله المخلوقات : لقد كتبت هذا.. قال له يسوع: سلم نفسك إذن ليدي..قال خالق العالم: لأني قد ذبحتك، فإني أعطيك عوضاً، كل أولئك الذين يؤمنون بك، تستطيع أن

تفعل بهم ما يرضيك.

عندئذٍ تركه يسوع، وحمل بولس بعيداً، وأراه الثمن، وأرسله ليكرز بأننا اشتُرينا بهذا الثمن، وأن كل من يؤمن بيسوعِ قد بيعوا عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب » .

فهذا الشطط في المعتقد إفراز طبيعي متجدد. يسببه تناقض العدل والرحمة، والقول بنجاة المسيح من القتل يضع الأمور في ميزانها الصحيح، فتعبد البشرية ربها، وهي موقنة بأنها تعبد الرب العفُوّ الرحيم.

فقصة النصارى في الخطيئة والفداء والشريعة تشبه قصة ملك تمرد عليه شعبه فأرسل إليهم رسلا يدعونهم إلى الخير والرجوع لسلطانه والإذعان لقوانين العدل والسلام التي وضعها.

لكن هؤلاء قتلوا رسله واستهزءوا بهم وزادوا عتواً فزاد غضب الملك عليهم ثم ما لبث الملك أن أصدر قراراً بأنه سيبعث ابنه الوحيد ليضربوه ويقتلوه ويهينوه كفارة عن معاصيهم، فمن صدق ذلك فهو عنده الكريم المغفور له.

كما أصدر أمراً آخر بإلغاء كل قوانين العدل والرخاء السابقة.

وأصدر أمراً باعتبار الرضا بالقرارات السابقة كافياً للحكم على الراضي بأنه مواطن صالح مهما ارتكب من آثام وموبقات وجرائم.

وقد كانت حيثيات هذا القرار: أن الملك عادل، ومن عدله يقتص من المجرمين المخربين المفسدين في مملكته، ولكنه حباً لهم، وحتى لا يهلك كل من في المملكة رضي بأن يقتص من ابنه الوحيد البريء، الذي

يعدل القصاص منه كل جرائم شعبه، وأمر بأن يعذب ثم يصلب فما رأي النصارى بهذا الملك ؟

ومثل هذا الملك لا يقال في حقه عادل أو ظالم، وإنما الأليق به أن يقال عنه: إنه غبي سفيه معتوه.

هذه هي صورة الإله الذي تريد النصرانية المحرفة أن نعبده.

وعقيدة الصلب والخطيئة والفداء وما تعلق بها سبب لنفور الناس من الدين وانتشار الإلحاد، إذ لم يرضَ الناس بعبادة رب ظالم، أو رب مصلوب كالذي تريد الكنيسة من الناس أن يعبدوه.

ولعل من صور هذا الإلحاد والذي سببته عقيدة موت الإله بسبب الفداء ما قاله نيتشة: « إن كان من شأن فكرة الله أن تسقط ضلال الخطيئة على براءة الأرض، فإنه لابد للمؤمنين بالحس الأرضي أن يهووا بمعاولهم على تلك الفكرة » .

ويقول: « طوبى لأتقياء القلب، لأنهم لا يعاينون الله... لقد صرنا بشراً، ولهذا فإننا لا نريد إلا ملكوت الأرض، إلى أين مضى الله ؟ سأقول لكم إلى أين مضى؟ لقد قتلناه، أنتم وأنا، أجل، نحن الذين قتلناه، نحن جميعاً قاتلوه، ألا تشمون رائحة العفن الإلهي؟ إن الآلهة أيضاً تتعفن، لقد مات الله وسيظل ميتاً » .

بل إن فكرة الخطيئة والفداء وغرابتها جعلها محلاً للسخرية والهزء كما يقول ج. ر سنوت في كتابه – المسيحية الأصلية: « ومن المدهش أن هذه القضية الخاصة بيسوع ابن الله ليس محبوبة في العصر الحاضر، ويقال عن حمله خطايانا، ورفعه قصاصها عنا: إنه عمل غير عادل وغير أدبي وغير لائق، وبمكن تحويله إلى سخرية وهزء » .

تناقل النصارى روايات صلب المسيح جيلاً بعد جيل، حتى إذا جاء القرن الميلادي السابع، أعلن محمد صلى الله عليه وسلم بطلان الصلب للمسيح.

ويتساءل النصارى كيف له أن يقول ذلك، وأن يكذب الحواريين وشهود العيان الذين سجلوا لنا بشهاداتهم الخطية ما رأوه ؟

إذن الأناجيل هي برهان القوم لو سئلوا وقيل لهم: « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » البقرة: 111 ، فالكتاب المقدس وفي أكثر من 500 لغة إنسانية يتحدث عن صلب المسيح. وهذا هو البرهان.

ويرى العلامة ديدات أنه يفرض علينا تفحص هذا البرهان، والنظر في حال الشهود الأربعة الذين يشهدون بصلب المسيح.

وهنا يسجل ديدات أول ملاحظاته، وهي أن اثنين من الأربع لم يروا المسيح، ولم يكونوا من تلاميذه، فكيف يعتبرون شهودًا ؟ ويقصد مرقس ولوقا.

والملاحظة الثانية: أن شهود الإثبات جميعاً لم يحضروا الواقعة التي يشهدون فيها، كما قال مرقس: « فتركه الجميع وهربوا » مرقس 50/14 ومثل هذه القضية لو عرضت على أي محكمة متحضرة لسارعت إلى رد شهادة هؤلاء الشهود في دقيقتين.

ثم هذه الشهادة مسجلة على أكثر من 5000 مخطوط يتفاخر بكثرتها النصارى، ولا يوجد منها مخطوطتان متطابقتان، ولو تطابقت جميعها، فإن أياً منها لم يسجَّل بخط مؤلفه، وإن نُسب إليه، يقول اينوك باول في كتابه – تطور الأناجيل : قصة صلب الرومان للمسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل. وقد استند في ذلك على إعادته ترجمة نسخة متى اليونانية، فتبين له أن هناك أجزاء وردت مكررة في هذا الإنجيل، مما يوحي بأنه أعيدت كتابتها في مرحلة تالية.

ومن التغيرات التي لاحظها علماء الغرب أنه جاء في مرقس: « وفي اليوم الأول من الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونعد لتأكل الفصح؟ فأرسل اثنين من تلاميذه، وقال لهما: اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه.. » مرقس 12/14 – 16 .

يقول نينهام مفسر مرقس: « إن أغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرات أضيفت فيما بعد لرواية مرقس » استندوا لأمرين: أولهما: أنه وصف اليوم الذي قيلت فيه القصة بأسلوب لا يستخدمه يهودي معاصر للمسيح. والثاني: أن كاتب العدد 17 « ولما كان المساء جاء مع الإثني عشر ... » مرقس 17/14 يتحدث عن جلوس المسيح مع تلاميذه الإثني عشر، وهو لا يعلم شيئاً عن رحلة اثنين منهم لإعداد الفصح.

ومن التلاعب الذي تعرضت له أيضاً نسخ الأناجيل: ما ذكره جورج كيرد شارح لوقا، فقد جاء في لوقا أن المسيح قال على الصليب: « يا أبتاه اغفر

لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » لوقا 23/33 – 34 ولم يذكرها غيره من الإنجيليين، كما أغفلتها بعض المخطوطات الهامة للوقا، يقول كيرد: « لقد قيل إن هذه الصلاة ربما تكون قد محيت من إحدى النسخ الأولى للإنجيل بواسطة أحد كتبة القرن الثاني، الذي ظن أنه شيء لا يمكن تصديقه أن يغفر الله لليهود، وبملاحظة ما حدث من تدمير مزدوج لأورشليم في عامي 70م و 135م صار من المؤكد أن الله لم يغفر لهم » .

تناقضات روايات الصلب في الأناجيل 1.6

وتتحدث الأناجيل الأربعة عن تفاصيل كثيرة في رواية الصلب، والمفروض لو كانت هذه الروايات وحياً كما يدعي النصارى، أن تتكامل روايات الإنجيليين الأربعة وتتطابق.

ولكن عند تفحص هذه الروايات نجد كثيراً من التناقضات والاختلافات التي لا يمكن الجمع بينها، ولا جواب عنها إلا التسليم بكذب بعض هذه الروايات، أو تكذيب رواية متى في مسألة، وتكذيب مرقس في أخرى...

من هذه التناقضات:

هل ذهب رؤساء الكهنة للقبض على المسيح؟ 1.7

مَن الذي ذهب للقبض على يسوع ؟ يقول متى: « جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب » متى 52/26 ، وزاد مرقس بأن ذكر من الجمع الكتبةَ والشيوخ انظر مرقس 43/14 ، وذكر يوحنا أن الآتين هم جند الرومان وخدم من عند رؤساءَ الكهنة انظر يوحنا 3/18 ولم يذكر

أي من الثلاثة مجيء رؤساء الكهنة.

ولكن لوقا ذكر أن رؤساء الكهنة جاءوا بأنفسهم للقبض على المسيح إذ يقول: « قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه » **لوقا 52/22 .**

فالتناقض بين لوقا والباقين ظاهر.

1.8 متى حوكم المسيح؟

وتذكر الأناجيل محاكمة المسيح، ويجعلها لوقا صباح الليلة التي قبض عليه فيها فيقول: « ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة، وأَصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح فقل لنا؟ » **لوقا 66/22 – 67.**

لكن الثلاثة يجعلون المحاكمة في ليلة القبض عليه فيقول مرقس: « فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة.....» **مرقس 53/14 – وانظر: متى 57/26، ويوحنا 3/18 .**

1.9 كم مرة سيصيح الديك؟

وتبع بطرس المسيح ليرى محاكمته، وقد أخبره المسيح بأنه سينكره في تلك الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين حسب مرقس « قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات» **مرقس 72/14 ومَرةً حسب الثلاثة، يقول لوقا:** « قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات» **لوقا 60/22– انظر: متى**

74/26، يوحنا 27/18 وقد ذكر الثلاثة خلال القصة صياحاً واحداً فقط، خلافاً لما زعمه مرقس.

أين تعرفت عليه الجارية أول مرة؟ 1.10

وكان سبب إنكار بطرس المتكرر أن بعض الموجودين في المحاكمة تعرفوا على المسيح، وهنا تتفق الأناجيل في أنه تعرفت عليه في المرة الأولى جارية.

وذكر متى ويوحنا أنه كان حينذاك خارج الدار « وأما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار. فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي» **متى 69/26، 75، ويؤكده يوحنا بقوله:** « وأما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً» **يوحنا 16/8**

وذكر مرقس ولوقا أنه كان داخل الدار يستدفئ من البرد، يقول مرقس: « بينما كان بطرس في الدار أسفل جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت: وأنت كنت مع يسوع الناصري» **مرقس 66/14، وفي لوقا:** «ولما أضرموا ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم. فرأته جارية جالساً عند النار، فتفرست فيه وقالت: وهذا كان معه..» **لوقا 55/22–56 .**

من الذي تعرف على المسيح في المرة الثانية؟ 1.11

وأما المرة الثانية فقد تعرفت عليه حسب متى جارية أخرى « ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك: وهذا كان مع يسوع الناصري» **متى 71/26 .**

ولكن حسب مرقس الذي رأته نفس الجارية، يقول: « فرأته الجارية أيضاً،

وابتدأت تقول للحاضرين: إن هذا منهم» **مرقس 69/14** .

وحسب لوقا الذي رآه هذه المرة رجل من الحضور وليس جارية « وبعد قليل رآه آخر وقال: وأنت منهم.فقال بطرس: يا إنسان لست أنا» **لوقا 58/22** .

وذكر يوحنا أن هذا الرجل أحد عبيد رئيس الكهنة « قال واحد من عبيد رئيس الكهنة، وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه أما رأيتك أنا معه في البستان. فأنكر بطرس أيضاً» **يوحنا 26/18** .

1.12 لماذا حبس باراباس؟

وتختلف الأناجيل في تحديد السبب الذي من أجله حبس باراباس في سجن بيلاطس، فيذكر يوحنا بأنه كان لصاً « وكان باراباس لصاً» **يوحنا 40/18** .

واتفق مرقس ولوقا على أنه صاحب فتنة، وأنه قتل فيها فاستوجب حبسه، يقول لوقا: «أطلق لنا باراباس، وذاك كان قد طرح في السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة وقتل» . **انظر: مرقس 7/15، لوقا 19/23** .

1.13 من الذي حمل الصليب المسيح أم سمعان؟

وصدر حكم بيلاطس بصلب المسيح، وخرج به اليهود لتنفيذ الحكم، وفيما هم خارجون لقيهم رجل يقال له سمعان، فجعلوه يحمل صليب المسيح يقول مرقس « ثم خرجوا لصلبه، فسخروا رجلا مجتازاً كان آتياً من الحقل، وهو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه » **مرقس 20/15 – 22 و**

انظر: متى 32/27، لوقا 26/23.

لكن يوحنا يخالف الثلاثة، فيجعل المسيح حاملاً لصليبه بدلاً من سمعان

يقول يوحنا: « فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له الجمجمة » **يوحنا 17/19**

ولم يذكر يوحنا شيئاً عن سمعان القيرواني.

1.14 نهاية يهوذا

يتحدث العهد الجديد عن نهايتين مختلفتين للتلميذ الخائن يهوذا الأسخريوطي الذي خان المسيح وسعى في الدلالة عليه مقابل ثلاثين درهماً من الفضة، فيقول متى: «فأوثقوه ومضوا به، ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي، حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، قائلاً: قد أخطأت، إذ سلمت دماً بريئاً. فقالوا: ماذا علينا.أنت أبصر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف.ثم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء. لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم» . **متى 2/27–5**

ولكن سفر أعمال الرسل يحكي نهاية أخرى ليهوذا وردت في سياق خطبة بطرس، حيث قال: «أيها الرجال الأخوة،كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع. إذكان معدوداً بيننا، وصار له نصيب في هذه الخدمة. فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها. وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم» . **أعمال 16/1–20.**

– **كيفية موت يهوذا، فإما أن يكون قد خنق نفسه ومات** « ثم مضى وخنق نفسه» ، **وإما أن يكون قد مات بسقوطه، حيث انشقت بطنه وانسكبت أحشاؤه فمات** « وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها » ، **ولا يمكن أن يموت يهوذا مرتين، كما لا يمكن أن يكون قد مات بالطريقتين معاً.**

من الذي اشترى الحقل، هل هو يهوذا « فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم» ، **أم الكهنة الذين أخذوا منه المال.** « فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري » .

هل مات يهوذا نادماً « لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم...قد أخطأت، إذ سلمت دماً بريئاً» **أم معاقباً بذنبه كما يظهر من كلام بطرس.**

– **هل رد يهوذا المال للكهنة** « وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ » **أم أخذه واشترى به حقلاً** « فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم » .

– **هل كان موت يهوذا قبل صلب المسيح وبعد المحاكمة** « ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي، حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم... فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه » **أم أن ذلك كان فيما بعد، حيث مضى واشترى حقلاً ثم مات في وقت الله أعلم متى كان.**

1.16 ما موقف المصلوبين من جارهما على الصليب؟

وتتحدث الأناجيل عن تعليق المسيح على الصليب، وأنه صلب بين لصين أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، ويذكر متى ومرقس أن اللصين استهزءا بالمسيح، يقول متى: « بذلك أيضاً كان اللصّان اللذان صلبا معه يعيّرانه» **متى 44/27، ومثله في مرقس 32/15.**

بينما ذكر لوقا بأن أحدهما استهزء به، بينما انتهر الآخر، يقول لوقا: « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أولا تخاف الله،.. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس» **لوقا 39/23 – 43.**

1.17 آخر ما قاله المصلوب قبل موته

أما اللحظات الأخيرة في حياة المسيح فتذكرها الأناجيل، وتختلف في وصف المسيح حينذاك، فيصور متى ومرقس حاله حال اليائس القانط يقول ويصرخ: « إلهي إلهي لماذا تركتني » **ثم يُسلم الروح متى 46/27 – 50 ومرقس 34/15 – 37 .**

وأما لوقا فيرى أن هذه النهاية لا تليق بالمسيح، فيصوره بحال القوي الراضي بقضاء الله حيث قال: « يا أبتاه في يديك أستودع روحي » **لوقا 46/23**

.

وتتحدث الأناجيل الأربع عن قيامة المسيح بعد دفنه، وتمتلىء قصص

القيامة في الأناجيل بالمتناقضات التي تجعل من هذه القصة أضعف قصص الأناجيل.

1.18 متى أتت الزائرات إلى القبر؟

تتحدث الأناجيل عن زائرات للقبر في يوم الأحد ويجعله مرقس بعد طلوعِ الشمس، فيقول: «وباكراً جداً في أول الأسبوعِ أتين إلى القبر، إذ طلعت الشمس» مرقس 2/16 .

لكن لوقا ومتَّى يجعلون الزيارة عند الفجر، وينُص يوحنا على أن الظلام باقٍ، يقول يوحنا: «في أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً، والظلام باق، فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر» . يوحنا 1/20 ، انظر: متى 1/28، لوقا 1/24.

1.19 من زار القبر؟

أما الزائرات والزوار، فهم حسب يوحنا مريم المجدلية وحدها كما في النص السابق « جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً » يوحنا 1/20 – 3.

وأضاف متى مريمَ أخرى أبهمها « جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر » متى 1/28.

ويذكر مرقس أن الزائرات هن مريم المجدلية وأم يعقوب وسالومة. «اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنّه. » مرقس 1/16 .

وأما لوقا فيفهم منه أنهن نساء كثيرات ومعهن أناس، يقول لوقا: «وتبعته

نساء كنّ قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده. ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهنّ أناس. فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر.» **لوقا 23/ 55 – 1/24. وهذا كله إنما كان في زيارة واحدة.**

1.20 متى دحرج الحجر؟

ثم هل وجد الزوار الحجر الذي يسد القبر مدحرجاً أم دُحرج وقت الزيارة؟

يقول متى: « وإذا زلزلة عظيمة حدثت.لأن ملاك الرب نزل من السماء، جاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه » **متى 2/28 فيفهم منه أن الدحرجة حصلت وقتذاك.**

بينما يذكر الثلاثة أن الزائرات وجدن الحجر مدحرجاً، يقول لوقا: «أتين الى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهنّ أناس. فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر» **لوقا 2/24 . وانظر: مرقس 4/16، يوحنا 1/20 .**

1.21 ماذا رأت الزائرات؟

وقد شاهدت الزائرات في القبر شاباً جالساً عن اليمين، لابساً حُلة بيضاء حسب مرقس انظر: مرقس 5/16 ، ومتى جعل الشاب ملاكاً نزل من السماء. انظر: متى 2/28 ، ولوقا جعلهما رجلين بثياب براقة. انظر: لوقا 4/24 .

وأما يوحنا فقد جعلهما ملَكين بثياب بيضٍ أحدهما عند الرأس، والآخر عند الرجلين. انظر يوحنا 12/20 .

هل أسرت الزائرات الخبر أم أشاعته؟ 1.22

ويتناقض مرقس مع لوقا في مسألة: هل أخبرت النساء أحداً بما رأين أم لا ؟ فمرقس يقول: « ولم يقلن لأحد شيئاً، لأنهن كن خائفات » **مرقس 8/16 ، ولوقا يقول:** « ورجعن من القبر، وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله » **لوقا 9/24 .**

لمن ظهر المسيح أول مرة؟ 1.23

وتختلف الأناجيل مرة أخرى في عدد مرات ظهور المسيح لتلاميذه، وفيمن لقيه المسيح في أول ظهور؟ فمرقس ويوحنا يجعلان الظهور الأول لمريم المجدلية انظر: مرقس 9/16، يوحنا 14/20 . ويضيف متى: مريم الأخرى انظر: متى 9/28 .
بينما يعتبر لوقا أن أول من ظهر له المسيح هما التلميذان المنطلقان لعمواس انظر: لوقا 13/24 .

كم مرة ظهر المسيح؟ وأين؟ 1.24

ويجعل يوحنا ظهور المسيح للتلاميذ مجتمعين ثلاث مرات. انظر: يوحنا 19/20، 26 بينما يجعل الثلاثة للمسيح ظهوراً واحداً انظر: متى 16/28، مرقس 14/16، لوقا 36/24 .
ويراه لوقا قد تم في أورشليم، فيقول: « ورجعا إلى أورشليم، ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم، وهم يقولون: إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان...، وفيما هم

يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم» **لوقا 33/24 – 36**

.

بينما يقول صاحباه إن ذلك كان في الجليل « أما الأحد عشر تلميذاً، فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له» **متى 10/28 . وانظر مرقس 7/16 .**

1.25 كم بقي المسيح قبل رفعه؟

ونشير أخيراً إلى تناقض كبير وقعت فيه الأناجيل، وهي تتحدث عن ظهور المسيح، ألا وهو مقدار المدة التي قضاها المسيح قبل رفعه.
ويفهم من متى ومرقس أن صعوده كان في يوم القيامة انظر: متى 8/28 – 20، مرقس 9/16 – 19، ولوقا 1/24 – 53 .
لكن يوحنا في إنجيله جعل صعوده في اليوم التاسع من القيامة. انظر: يوحنا 26/20، 4/21 ، بيد أن مؤلف أعمال الرسل – والمفترض أنه لوقا – جعل صعود المسيح للسماء بعد أربعين يوماً من القيامة انظر: أعمال 13/1
وبذلك سقطت شهادة الشهود في هذه المسألة، وصح لأي محكمة أن تعتبرهم شهود زور، وهل يُعرف شهود الزور إلا بمثل هذه التناقضات، أو أقل منها ؟

وينفرد أحد الإنجيليين بذكر حوادث قد تكون مهمة، ومع ذلك أَغفلها الآخرون، وقد يتبادر للذهن لأول وهلة أن ذلك يرجع لنظرية تكامل الروايات الذي لا يعتبر من التناقض والتعارض.

وهذا ليس بصحيح، إذ معرفتنا البسيطة بتدوين الإنجيل وتاريخه تُنبئنا بأن الإنجيليين اعتمد اللاحق فيهم على السابق، فإغفال اللاحق لبعض ما ذكره سلفه، إنما يرجع لتشككه في جدوى الرواية، أو صحتها، أو تناسقها مع المعتقد، وهو ما يقال أيضاً في الإضافة التي قرر المتأخر زيادتها عن السابق.

ولعل مما يوضح الصورة ويجليها: نقل مقدمة لوقا الذي يقول « رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق.... لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمت به » **لوقا 1/3– 4 .**

ومن هذه الأمور التي انفرد بها أحد الإنجيليين:

– انفرد لوقا فذكر في وصف ليلة القبض على المسيح أموراً لم يذكرها غيره، ومنها: أنه بالغ في إظهار جزع المسيح، حتى أن الله أيده بملاك يقويه، وكأنه أوشك على الانهيار. يقول لوقا «: وظهر له من السماء ملاك يقويه، وإذ كان في جهاد، كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » **لوقا 22/43 – 44 .**

وهاتان الفقرتان – رغم وجودهما في أكثر النسخ المتداولة – فإن المراجع القديمة تحذفهما، كما نقل أحمد عبد الوهاب عن جورج كيرد مفسر لوقا حيث يقول: « فإن هذا الحذف يمكن إرجاع سببه إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا قد اكتنفها الضعف البشري، كان يتضارب مع اعتقاده في الابن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهرة » .

ولعل هذا ما دعا الإنجيليين إلى تجاهل هذا الوصف الدقيق، بل إن يوحنا لم يذكر شيئاً عن معاناة المسيح وآلامه تلك الليلة، وذلك للسبب نفسه بالطبع.

ولنا أن نتساءل كيف عرف لوقا بنزول الملاك ؟ وكيف شاهد عرقه وهو يتصبب منه على هذه الكيفية ؛ كيف ذلك والتلاميذ قد وصفهم لوقا بعدها مباشرة بقوله « ثم قام من الصلاة، وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن » لوقا 45/22 ؛ كما أنه لم يكن بجوارهم، وهو يصلي فقد « انفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى » لوقا 41/22 .

– ذكر الإنجيليون ضرب أحد التلاميذ لعبد رئيس الكهنة بالسيف، وأنه قطع أذنه، وتتكامل الروايات، فيذكر يوحنا أن اسم العبد ملخس، وأن الأذن هي اليمنى، فيما لم يحدد متى ومرقس اسم الضارب، كما لم يحدد الأذن المضروبة.

لكن أحداً منهم – سوى لوقا – لم يذكر أن المسيح أبرأ أذن العبد وردّها، وهي ولاشك معجزة كبيرة بين تلك الجموع الكافرة.. «فأجاب

يسوع: دعوا إليّ هذا، ولمس أذنه وأبرأها. » **لوقا 51/22 ولم يذكر لوقا أي ردة فعل للجند والجموع لهذه المعجزة الباهرة. وكأن شيئاً لم يكن.**

كما انفرد مرقس بواحدة أخرى، وهي: قصة الشاب الذي هرب من الشبان فأمسكوا بإزاره الذي يلبسه على عري، فترك الإزار، وهرب منهم عرياناً انظر:مرقس 51/14 –52 .

– وأيضاً انفرد يوحنا بأن المسيح طلب من الجند أن يدعوا تلاميذه يهربون. انظر: يوحنا 8/18 مع أن أحداً لم يتعرض لتلاميذه، لكن يوحنا يريد بذلك أن يحقق نبوءة توراتية، فقد قال بعدها «ليتم القول الذي قاله: إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً » **يوحنا 9/18 .مع أنه أي يوحنا يجزم بهلاك يهوذا، وقد قال قبل سطور عنه** « ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك » **يوحنا 12/17**

– وانفرد يوحنا فذكر أن الجند لما همّوا بالقبض على يسوع، وقعوا على الأرض، يقول يوحنا: «فلما قال لهم: إني أنا هو رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض » **يوحنا 6/18 فما الذي أخاف الجنود حتى سقطوا ؟**

للإجابة عن هذا السؤال نتأمل ما جاء في لوقا « وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم، ومجد الرب أضاء حولهم، فخافوا خوفاً عظيماً، فقال لهم الملاك: لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب » **لوقا 8/2–10**

فخوفهم من الملائكة، هو الذي سبب لهم هذا السقوط، ونراه محققاً

للنبوءة التوراتية « لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك، لئلا تصطدم بحجر رجلك » **مزمور 109/14– 16 .**

– وانفرد متى فذكر ذهابهم بالمسيح إلى حنان حما قيانا، ثم أخذوه إلى قيافا انظر يوحنا 12/18 – 13 .

– وانفرد لوقا بذكر إرسال بيلاطس المسيح إلى هيرودس حاكم الجليل.

وقد ذكر متى أن هيرودس مات قبل ذلك بكثير، يقول متى « فلما مات هيرودوس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلاً: قم وخذ الصبي وأمه، واذهب إلى أرض إسرائيل » **متى 19/2 – 20 .**

والذي دعاه لذلك –كما يرى مفسر لوقا جورج كيرد –: أنه أراد أن يحقق نبوءة المزمور الثاني، وفيه « قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب، وعلى مسيحه » **مزمور 2/2 .**

– وانفرد متى فذكر عجائب حصلت والمسيح على الصليب في اللحظة التي فارق فيها الحياة، فيقول: «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين » **متى 51/27 – 53 ، فهذه الأعاجيب ينفرد بها دون سائر الإنجيليين والمؤرخين ومنهم لوقا المتتبع بالتدقيق لكل شيء.**

ولو صح مثل هذا لكان من أعظم أعاجيب المسيح، ولحرص الجميع

على ذكره، لذا فهو إلى الكذب أقرب، يقول نورتن المسمى – حامي الإنجيل : « هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة في اليهود، بعدما صارت أورشليم خراباً، فلعل أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى، وأدخلها الكُتاب في المتن، وهذا المتن وقع في يد المترجم، فترجمها على حسبه» .

وقد نقلت هذه الأخبار عن الأساطير القديمة، يقول المفسر كيرد: « كان الشائع قديماً أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سوء، وكأن الطبيعة تواسي الإنسان بسبب تعاسته » .

ويقول المفسر نينهام: « لقد قيل: إن مثل تلك النذر لُوحِظَتْ عند موت بعض الأحبار الكبار، وبعض الشخصيات العظيمة في العصور القديمة والوثنية، وخاصة عند موت يوليوس قيصر » .

ويقول المفسر فنتون: « لقد كان قصد متى من هذه الأحداث الخرافية أن يبين أن موت يسوع كان عملاً من صنع الله » .

ومما يدل على كذب متى أو مترجمه في هذه الزيادة، أن لو ظهرت هذه العجائب لما جرأ اليهود على الرجوع إلى بيلاطس، وطلب حراسة القبر، ولما تجاسر قيافا أن يصف المسيح وقتئذ بالمضل، ولانتقم منهم بيلاطس، بل وعامة اليهود، ولآمن كثيرون بالمسيح، كما آمن كثيرون في أعجوبة أقل من ذلك، إذ لما نزل روح القدس على التلاميذ، آمن ثلاثة آلاف شخص أعمال 2/40 – 41 ، وما ذكره متى عند موت المسيح أعظم من ذلك.

ثم ماذا عن هؤلاء الأموات ؟ هل عادوا بأكفانهم؛ أم حفاة عراة ؟ ومع مَن تكلموا ؟ هل كان خروجهم حزناً عليه أم نصرة له ؛ أم فرحاً به ؛......

- وانفرد يوحنا بذكر وجوده إلى جوار المسيح وأم المسيح معه وقت الصلب يوحنا 25/19 – 26 ، وأمر كهذا لا يتصور أن تغفله الأناجيل لو كان حقاً، كما لا يمكن تصور أن الجند يسمحون لذوي المسيح من الاقتراب منه وهو على الصليب، وهم الذين أنكر بطرس بين أيديهم معرفة المسيح ثلاث مرات.

1.27 النقد الضمني للرواية الإنجيلية

وعند التأمل في الروايات الإنجيلية في جزئيات كثيرة اجتمع عليها الإنجيليون – أو بعضهم – نجد أن في الروايات خللاً وحلقات مفقودة لا يمكن تجاوزها، علاوة على ما في الروايات من تهافت في المعنى.
وفي كثير من هذه الملاحظات لا يمكن للنصارى الخروج منها، إلا بالتسليم بأن المصلوب ليس المسيح، أو بالتسليم بأن الروايات بشرية الوضع، غير محبوكة الصنعة. ومنها:
- تتحدث الأناجيل عن دور يهوذا في خيانة المسيح بعد أن رافق المسيح وهو من خاصته، فكيف حصل هذا التغير المفاجىء ؟
إن وقوع الانحراف بين البشر لا يستبعد، ولكن الرواية الإنجيلية تجعل

المسيح، وهو الذي أرسله الله لهداية البشر، تجعله سبباً في غواية يهوذا.
يقول يوحنا على لسان المسيح: « الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة، وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي، فبعد اللقمة دخله الشيطان، فقال له يسوع: ما أنت تعمله، فاعمله بسرعة أكثر » يوحنا 26/13 – 27 ، فقد جعل النص المسيح سبباً في ضلالة يهوذا وخيانته.
كيف لم يستطع يهوذا أن يخرج الشياطين من نفسه، وهو أحد الذين قال لهم المسيح: « اشفوا مرضى، طهروا برصاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين؟ » متى 8/10 .
وعلى الرغم من أهمية شخصية يهوذا فإن أحداً من أصحاب الأناجيل – سوى متى – لم يذكر شيئاً عن موته، وقد اختار له متَّى ميتة سريعة سبقت حتى موت المسيح، وكأنه بذلك أراد أن يتخلص من الشخصية الغريبة، والتي اختفت منذ تلك الفترة. انظر متى 3/27–7 ، وقارن مع أعمال 18/1
وتناقض الروايتين وسكوت بقية الأناجيل يرجع لاختفاء يهوذا عن مسرح الأحداث في تلك الليلة التي قبض عليه فيها بدل المسيح.
وهنا يطرح سؤال نفسه: كيف جهل رؤساء الكهنة شخص المسيح حتى احتاجوا إلى من يدلهم عليه مقابل ثلاثين من الفضة ؛ كيف ذلك وهو الذي كان في الهيكل يعلم كل يوم انظر: لوقا 22/ 52 ، وقد عرفه حتى المجوس في طفولته؟ انظر: متى 1/2 – 11

وتذكر الأناجيل أن المسيح في ليلة الصلب تضرع إلى الله يدعوه أن يصرف عنه كأس الموت، فأين كان التلاميذ في تلك اللحظات العصيبة ؟ لقد كانوا مع المسيح في البستان، لكنهم كما وصفهم لوقا « ثم قام من الصلاة، وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن » لوقا 45/22 لكن المعهود في البشر أنهم إذا خافوا طار النوم وعز.

وهو ما يؤكده علماء النفس، ومرده فرز الغدة الكظرية لهرمون في مجرى الدم، فيتعقب النوم ويطارده، إذا كيف نام هؤلاء من الخوف ؟

– ومن التنافر أيضاً ما جاء في مرقس أن المسيح جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً فقال: « ناموا الآن واستريحوا. يكفى. قد أتت الساعة. هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة، قوموا لنذهب، هوذا الذي يسلمني قد اقترب » مرقس 41/14

فكيف يتوافق قوله: « ناموا الآن واستريحوا » مع قوله « قوموا لنذهب؟ » .

وثمة سؤال هنا: كيف يطلب الهرب وهو يعرف أنه سيؤخذ ويصلب ؟

– ومن التنافر في الرواية أن إنجيل يوحنا يُظهر الحكم على المسيح، وكأنه حكم إلهي نزل على رئيس الكهنة قيافا، وليس حكماً صادراً من مجمع للظّلَمة. يقول يوحنا: « فقال لهم واحد منهم. وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تُهلك الأمة كلها، ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » يوحنا 49/11 – 52

فالنص يصف قيافا بالنبوة، وبأنه عرف أن المسيح يموت عن الشعب، فكيف يصح هذا ؟ وهو الذي حكم ظلماً على المسيح بالموت، كيف وهو أحد الظلمة الذين قال لهم المسيح: « ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » لوقا 53/22

كيف يأمر نبي بقتل نبي، فلو صحت نبوته لكان حكمه ردة، أو يكون قد حكم على غير المسيح.

وفي محاولة للتبرير قال يوحنا فم الذهب: « إن روح القدس حرك لسان قيافا، لا قلبه على أن قيافا لم يخط ضد الإيمان، بل ضد العدل والتقوى » .

ولكن اللسان ليس إلا ترجماناً للقلب، وإذا كان روح القدس هو الذي حرك قيافا، فلم كان قيافا خاطئاً ضد العدل والتقوى.

وقد تعارض قيافا في فهمه لعموم الفداء وخصوصه، فهو يفهم أن المسيح موته فداء لبني إسرائيل، بينما يوحنا في رسالته الأولى يقول: « هو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» يوحنا 1– 2/2 .

– وتذكر الأناجيل أن الجميع وقف ضد المسيح وليس رؤساء الكهنة فحسب، بل حتى الجماهير كانت تنادي على بيلاطس وتقول: « اصلبه. اصلبه » وترفض إطلاقه، وتود إطلاق المجرم باراباس « كان بيلاطس يطلب أن يطلقه، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر » يوحنا 12/19 « فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس. فصرخوا أيضاً: اصلبه... فازدادوا جداً صراخاً: اصلبه، فبيلاطس إذن كان يريد

أن يعمل للجمع ما يرضيهم » **مرقس 11/15 – 15 .**

فأين الجموع التي شفاها المسيح والتي تعد بالألوف؟ أين أولئك الذين استقبلوه وهو يدخل أورشليم راكباً على الجحش والأتان معاً ؟ أين أولئك « الجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق، وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر، وفرشوها في الطريق، والجموع الذين تقدموا، والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنا لابن داود.. ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: مَن هذا ؟ » **متى 8/21 – 10**

أين ذهب هؤلاء ؟ بل أين ذهب أصحاب المروءة والشهامة، وهم يرون المسيح يصفع ويضرب على غير ما ذنب أو جريرة ؟

– ذكر مرقس قصة الرجل الذي هرب عرياناً فقال: « تبعه شاب لابساً إزاراً على عريه » **مرقس 52/14 ويدل هذا على أن الجو لم يكن بارداً، ومما يؤيد ذلك أن الفصح عند اليهود – حيث حصلت حادثة الصلب – يكون في شهر نيسان.**

لكن يوحنا يذكر ما يفيد أن الجو كان بارداً، فقد وقف بطرس يوم محاكمة المصلوب، يحتمي من البرد بالنار يقول يوحنا: « وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي » **يوحنا 25/18 فجمع الإنجيليون الصيف والشتاء في يوم واحد.**

– ثم إن بطرس – الذي يحتل في المسيحية مكاناً بارزاً، وجعلت الأناجيل بيده مفاتيح السماوات والأرض – أنكر المسيح في تلك الليلة ثلاث مرات، وأضاف إلى الإنكار حَلفاً ولعناً، ولم تحدد الأناجيل

الملعون هل هو يلعن نفسه أم المسيح ؟ أم....
لكن هذا لا يتفق مع خصوصية بطرس الذي قال له المسيح: « ولكني طلبت من أجلك، لكي لا يفنى إيمانك، وأنت متى رجعت، ثبت إخوانك » لوقا 32/22 .
كما أن الحلف منهي عنه عند النصارى، فكيف حلف بطرس والمسيح يقول: « لا تحلفوا البتة.،. بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا، وما زاد على ذلك فهو شر » متى 34/5 – 37 .
وعليه فبطرس شرير، حلف كاذباً، والتوراة تقول: «.. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً » الخروج 7/20 و « لا تحلف باسمي للكذب، فتدنس اسم إلهك، أنا الرب » اللاويين 12/19 وخروج بطرس عن هذه الأحكام يجعله ملعوناً « ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها» التثنية 26/27 .
ولا يمكن أن يصدر هذا الحلف واللعن من بطرس، فلا يمكن أن يهون عليه سيده إلى هذا الحد، ولو فعل ذلك لما كان مستحقاً لاسم الإيمان، فضلاً عن المعجزات والخصائص المذكورة في حقه في الأناجيل، وعليه، فإنه كان صادقاً في حلفه ولعنه، إذ المصلوب ليس المسيح، بل غيره.
– وتُظهر الأناجيل المسيح على الصليب غاية في الضعف والهوان، يستجديهم الماء وهو يرى شماتتهم، ثم يُسمعهم صراخه....ولا يتطابق هذا مع ما عُرف عن شخصية المسيح القوية، والتي تحدى فيها اليهود بأنهم سيطلبونه ولا يجدونه انظر يوحنا 23/7 ، أو المسيح الذي دخل

الهيكل فطرد الصيارفة انظر مرقس 15/11 ، « وصام أربعين يوماً قبلُ » انظر متى 2/4 .

فلم كل هذا الجزع، وممن ؟ من المسيح الذي يدعون ألوهيته !! كيف يصدر هذا الخور منه وهو القائل لتلاميذه: « لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب سمعتم أني قلت لكم: أنا أذهب ثم آتي إليكم، لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت: أمضي إلى الآب » يوحنا 27/12 – 28

– ويذكر الإنجيليون قيامه المسيح بعد الموت، وهذه أحد أكثر موضوعات الأناجيل إثارة، لما في رواياتها من تناقض وتنافر.

فلم ظهر المسيح لتلاميذه ولم يظهر لأعدائه ؛ فهذا أظهر لحجته، وأدعى للإيمان به، كما نتساءل عن موقف الكهنة وقد علموا من الحراس بخروج المسيح من القبر: كيف سكتوا عن ذلك، إن الأناجيل لا تذكر أنهم حركوا ساكناً، وكأن الأمر لا يعنيهم.

وأنبه هنا إلى أن إنكار قيامة المسيح قديم، فهاهم أهل باغوس يحدثهم بولس «ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون، والبعض يقولون سنسمع منك عن هذا أيضاً » أعمال 32/17 .

ومما يدل على عدم صحتها: جهل تلاميذ المسيح بها « لأنهم لم يكونوا بعدُ يعرفون الكتاب، أنه ينبغي أن يقوم من الأموات » يوحنا 10/20 وعليه فإن فكرة سرقة الجسد من القبر كان إشاعة قديمة لتبرير القيامة.

ومن الأدلة على كذب القيامة: وجود المسيح وظهوره، فوجوده دليل على

أنه لم يمت، لأن التوراة تقول: « السحاب يضمحل ويزول، هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد » أيوب 9/7 ولو كان المسيح قد مات لا يرونه بعدُ لأنه قال: « لأني ذاهب إلى أبي، ولا ترونني أيضاً » يوحنا 1/16 ويؤكد هذا قوله: «الحق الحق أقول لكم، إنكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب» لوقا 5/13 .

وهكذا ومن خلال هذا كله يتبين لنا أن الروايات الإنجيلية أقل بكثير من أن تصلح للاعتبار في مسألة مهمة كهذه إذ هي عمل بشري ممتلئ بسائر أنواع الضعف البشري.

1.28 إبطال وقوع صلب المسيح بالدليل التاريخي

يدعي النصارى أن المسلمين بقولهم بنجاة المسيح من الصلب ينكرون حقيقة تاريخية أجمع عليها اليهود والنصارى الذين عاصروا صلب المسيح ومن بعدهم.

فكيف لنبي الإسلام وأتباعه الذين جاءوا بعد ستة قرون من الحادثة أن ينكروا ذلك؟ !!

قد يبدو الاعتراض النصراني وجيهاً لأول وهلة، لكن عند التأمل في شهادة الشهود تبين لنا تناقضها وتفكك رواياتهم.

ولدى الرجوع إلى التاريخ والتنقيب في رواياته وأخباره عن حقيقة حادثة الصلب، ومَن المصلوب فيها ؟ يتبين حينذاك أمور مهمة: –

– أن قدماء النصارى كثر منهم منكرو صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق كثيرة أنكرت الصلب.

وهذه الفرق هي: الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والماركيونية والبارديسيانية والسيرنثييون والبارسكاليونية والبولسية والماينسية، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والفلنطانيائية والهرمسيون.

وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه –الأرطقات مع دحضها : ذكر القديس الفونسوس ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشح ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء.

ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول فنتون شارح متى: « إن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلاً من يسوع» .

وقد استمر إنكار صلب المسيح، فكان من المنكرين الراهب تيودورس 560م والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص 610م وغيرهم.

ولعل أهم هذه الفرق النكرة لصلب المسيح الباسيليديون؛ الذين نقل

عنهم سيوس في « عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية » والمفسر جورج سايل القول بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني، وسماه بعضهم سيمون السيرناي، ولعل الاسمين لواحد، وهذه الفرقة كانت تقول أيضاً ببشرية المسيح.

ويقول باسيليوس الباسليدي: « إن نفس حادثة القيامة المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح» .

ولعل هؤلاء هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: « الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب، وإنما صلب رجل آخر مكانه » .

ومن هذه الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلاً عنه: الكورنثيون والكربوكراتيون والسيرنثيون. يقول جورج سايل: إن السيرنثيين والكربوكراتيين، وهما من أقدم فرق النصارى، قالوا : إن المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل، وإنما صلب واحد من تلاميذه، يشبهه شبهاً تاماً، وهناك الباسيليديون يعتقدون أن شخصاً آخر صلب بدلاً من المسيح.

وثمة فِرق نصرانية قالت بأن المسيح نجا من الصلب، وأنه رفع إلى السماء، ومنهم الروسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية. وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح، ويرون القول بصلب المسيح وإهانته لا يلائم البنوة والإلهية.

كما تناقل علماء النصارى ومحققوهم إنكار صلب المسيح في كتبهم،

وأهم من قال بذلك الحواري برنابا في إنجيله.

ويقول ارنست دي بوش الألماني في كتابه – الإسلام: أي النصرانية الحقة : ما معناه: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا في أصول النصرانية الأصلية.

ويقول ملمن في كتابه – تاريخ الديانة النصرانية : « إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس، وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدقهم القرآن » .

وأخيراً نذكر بما ذكرته دائرة المعارف البريطانية في موضوع روايات الصلب حيث جعلتها أوضح مثال للتزوير في الأناجيل.

ومن المنكرين أيضاً صاحب كتاب – الدم المقدس، وكأس المسيح المقدس : فقد ذكر في كتابه أن السيد المسيح لم يصلب، وأنه غادر فلسطين، وتزوج مريم المجدلية، وأنهما أنجبا أولاداً، وأنه قد عثر على قبره في جنوب فرنسا، وأن أولاده سيرثون أوربا، ويصبحون ملوكاً عليها.

وذكر أيضاً أن المصلوب هو الخائن يهوذا الأسخريوطي، الذي صلب بدلاً من المسيح المرفوع.

وإذا كان هؤلاء جميعاً من النصارى، يتبين أن لا إجماع عند النصارى على صلب المسيح، فتبطل دعواهم بذلك.

ويذكر معرِّب – الإنجيل والصليب : ما يقلل أهمية إجماع النصارى لو صح فيقول بأن أحد المبشرين قال له: كيف يُنكر وقوع الصليب، وعالم المسيحية مطبق على وقوعه ؟

فأجابه: كم مضى على ظهور مذهب السبتيين ؟ فأجاب القس المبشر: نحو أربعين سنة.

فقال المعرِّب: إن العالم المسيحي العظيم الذي أطبق على ترك السبت خطأ 1900 سنة، هو الذي أطبق على الصلب.

وأما إجماع اليهود فهو أيضاً لا يصح القول به، إذ أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس المعاصر للمسيح والذي كتب تاريخه سنة 71م أمام طيطوس لم يذكر شيئاً عن قتل المسيح وصلبه.

أما تلك السطور القليلة التي تحدثت عن قتل المسيح وصلبه، فهي إلحاقات نصرانية كما جزم بذلك المحققون وقالوا: بأنها ترجع للقرن السادس عشر، وأنها لم تكن في النسخ القديمة.

ولو صح أنها أصلية فإن الخلاف بيننا وبين النصارى وغيرهم قائم في تحقيق شخصية المصلوب، وليس في وقوع حادثة الصلب. «وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه » النساء: 157 وهذا حال اليهود والنصارى فيه.

ولكن المؤرخ الوثني تاسيتوس كتب عام 117م كتاباً تحدث فيه عن المسيح المصلوب.

وعند دراسة ما كتبه تاسيتوس، يتبين ضعف الاحتجاج بكلامه، إذ هو ينقل إشاعات ترددت هنا وهناك، ويشبه كلامه أقوال النصارى في محمد – في القرون الوسطى.

ومما يدل على ضعف مصادره، ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية، من أنه ذكراً أموراً مضحكة، فقد جعل حادثة الصلب حادثة أممية، مع أنها لا تعدو أن تكون شأناً محلياً خاصاً باليهود، ولا علاقة لروما بذلك.

ومن الجهل الفاضح عند هذا المؤرخ، أنه كان يتحدث عن اليهود – ومقصده: النصارى. فذكر أن كلوديوس طردهم من رومية، لأنهم كانوا يحدثون شغباً وقلاقل يحرضهم عليها – السامي – أو – الحسن – ويريد بذلك المسيح.

ومن الأمور المضحكة التي ذكرها تاسيتوس قوله عن اليهود والنصارى بأن لهم إلهاً، رأسه رأس حمار، وهذا هو مدى علمه بالقوم وخبرته.

كما قد شكك المؤرخون بصحة نسبة العبارة إلى تاسيتوس، ومنهم العلامة أندريسن وصاحبا كتابي – ملخص تاريخ الدين – و – شهود تاريخ يسوع –.

وقد تحدث أندريسن أن العبارة التي يحتج بها النصارى على صلب المسيح في كلامه مغايِرة لما في النسخ القديمة التي تحدثت عن chrestianos بمعنى الطيبين، فأبدلها النصارى، وحوروها إلى:

christianos بمعنى المسيحيين.

وقد كانت الكلمة الأولى – الطيبين – تطلق على عُبّاد إله المصريين – أوزيريس–، وقد هاجر بعضهم من مصر، وعاشوا في روما، وقد مقتهم أهلها وسموهم: اليهود، لأنهم لم يميزوا بينهم وبين اليهود المهاجرين من الإسكندرية، فلما حصل حريق روما؛ ألصقوه بهم بسبب الكراهية، واضطهدوهم في عهد نيرون.

وقد ظن بعض النصارى أن تاسيتوس يريد مسيحهم الذي صلبوه، فحرف العبارة، وهو يظن أنه يصححها. ويرى العلامة أندريسن أن هذا التفسير هو الصحيح.

وإلا كان هذا المؤرخ لا يعرف الفرق بين اليهود والنصارى، ويجهل أن ليس ثمة علاقة بين المسيح وروما.

وهكذا فإن التاريخ أيضاً ناطق بالحقيقة، مُثبت لما ذكره القرآن عن نجاة المسيح وصلب غيره.

1.29 إبطال الصلب بنبوءات التوراة

تحتل النبوءات في الفكر المسيحي مكانة سامقة، جعلت بعض النصارى يشترطون لصحة النبوة أن يسبقها نبوءة.

وحادثة صلب المسيح – كما يعتبرها النصارى – أحد أهم أحداث المعمورة، فكان لابد وأن يتحدث عنها الأنبياء في أسفارهم، وأن يذكرها

المسيح لتلاميذه.

فهل أخبرت الأنبياء بصلب المسيح وقيامته ؟ وهل أخبر المسيح تلاميذه بذلك؟

والإجابة النصرانية عن هذا التساؤل كانت بالإيجاب، وأن ذلك في مواضع كثيرة من الأناجيل والرسائل والأسفار التوراتية.

ولعل من نافلة القول أن نذكر بأن النصارى يعتبرون أسفار التوراة جزءً مقدساً كتابهم المقدس، كيف لا والأناجيل ما فتئت تحيل إلى هذه الأسفار، تستمد منها تنبؤاتها المستقبلية، التي تحققت في شخص المسيح في حياته أو حين صلبه ؟.

وللأسفار التوراتية دور عظيم في مسألة صلب المسيح، فقد أكثرت الأناجيل في هذه القصة من الإحالة إلى أسفار التوراة؛ التي يرونها تتنبأ بالمسيح المصلوب، وكانت نصف هذه الإحالات إلى المزامير المنسوبة لداود وغيره وقد ذكر عيسى عليه السلام لتلاميذه ضرورة أن تتحقق فيه النبوءات التوراتية بقوله: «لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» لوقا 44/26 ويقول: « فتشوا الكتب .... وهي التي تشهد لي » يوحنا 39/5 .

والنبوءات التي أحالت إليها الأناجيل بخصوص حادثة الصلب أربع عشرة نبوءة، ذكر متى منها ستاً، ومرقس أربعاً، ولوقا اثنتين، بينما ذكر منها

يوحنا سبع نبوءات.

ونخلص من هذا إلى أهمية النبوءات التوراتية المتعلقة بصلب المسيح.

ويبالغ النصارى في التركيز على أهمية النبوءات التوراتية المتحدثة والمشيرة للمسيح وكثرتها، فيقول القمص سرجيوس في كتابه – هل تنبأت التوراة عن المسيح : « فالمسيح ساطع في كل الكتاب المقدس في إشراق دائم، وليس كالشمس التي تغيب عن نصف الأرض ليلاً، إذ ليس في التوراة أو كتب الأنبياء جزء تغرب عنه شمس المسيح، بل يشع اسمه، وشخصه، وصفاته، وأعماله، وظروفه، وأحواله في التوراة، وكتب الأنبياء، وفي ثنايا سطورها نجد المسيح في كل جملة، وفي كل إصحاح، وفي كل سفر من أسفارها. وما حروفها وكلماتها إلا خطوطاً أو ظلالاً لصورة المسيح المجيدة.... فنحن المسيحيين لا نهتم أين نفتح التوراة وكتب الأنبياء لنجد الكلام عن المسيح.... » ، ورغم ما في الكلام من مبالغة، فإننا – كما يقول منصور حسين – نستشف منه أهمية النصوص التوارتية في الدلالة على المسيح.

ولسفر المزامير وموضوع الصلب شأُن خاص يصفه سرجيوس فيقول « أما سفر المزامير فكان الهالة، التي أحاطت بكوكب يسوع، فتكلم حتى عن إحساساته العميقة، وآلامه المبرحة ناهيك عن صفاته وألقابه، أكثر من أي نبي آخر، ويمكننا القول، أن سفر المزامير هو سفر –مسيا– الخاص، بدليل أن الاقتباسات التي اقتبسها كتبة العهد القديم من سفر المزامير هذا بلغت نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله » .

ويؤكد عبد الفادي القاهراني أهمية المزامير في كتابه – رب المجد : بقوله: « لم يوجد كتاب مليء بالإشارات والرموز والنبوءات عن المسيح أكثر من كتاب المزامير هذا، وعليه فأهميته في نظر اللاهوتيين تفوق الوصف » .

لذلك فإن العلماء المسلمين ارتضوا محاكمة النصارى في هذه المسألة إلى أسفار التوراة، ذلك بأنه ليس من المقبول أن يتصور أحد أن اليهود يغيرون كتبهم لتتمشى مع معتقدات النصارى، لذا فهم يرتضون هذه الكتب معياراً للكشف عن الحقيقة.

وقبل أن نشرع، فإنه يحسن التنبيه إلى نقاط الاختلاف والاتفاق بين المسلمين والنصارى في مسألة الصلب.

النصارى يقولون بصلب المسيح، بينما يقول المسلمون بأنه لم يصلب، وأنه قد شُبه غيرُ المسيح به، ولا ينفون وقوع صلب لغيره، كما لا ينفون جملة ما ترويه الأناجيل من أحداث صاحبت الصلب أو سبقته، كحديث الأناجيل عن الدعاء الطويل للمسيح في البستان طالباً من الله أن ينجيه من الموت، وأن الجموع حضرت للقبض عليه، وأن ثمة من أخذ من ساحة البستان، وأن المأخوذ حوكم، وصلب، ثم دفن.

فالخلاف إنما هو في حقيقة المأخوذ والمصلوب، فيرى المسلمون أنه يهوذا، وأن لحظة الخلاص هي تلك التي أراد الجند أن يلقوا القبض فيها على المسيح، فسقطوا على الأرض، وتدافعت الجند ووقعت المشاعل من أيديهم، ثم نهضوا ليجدوا دليلهم يهوذا الأسخريوطي وحيداً في الساحة، فأخذوه وقد ألقى الله عليه شبه المسيح لينال جزاء خيانته لسيده.

وأما المسيح فقد نزلت ملائكة الله وصعدت به إلى السماء، لينجو من المؤامرة بحماية الله العظيم، وأعطي بذلك حياة طويلة تمتد إلى قبيل قيام الساعة حيث ينزل إلى الأرض عليه السلام لعيش عليها ويموت في سلام.. « والسّلام عليّ يوم ولدتّ ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً » مريم: 32 .

ولسوف نستعرض منها في هذه العجالة ستة مزامير فقط، من نبوءات المزامير، نختصرها من دراسة منصور حسين الرائعة في كتابه الماتع – دعوة الحق بين المسيحية والإسلام :، والتي شملت ستة وثلاثين مزموراً، والمزامير الستة التي اختارها، يجمعها أنها مما يعتبره النصارى نبوءات تحدثت عن المسيح المصلوب.

أولاً: المزمور الثاني

وفيه: « لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل، قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا على الرب، وعلى مسيحه، قائلين: لنقطع قيودها ولنطرح عنا رُبُطهما.
الساكن في السماوات يضحك، الرب يستهزئ بهم، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه » المزمور 2/1 – 5 .

والمزمور: يراه النصارى نبوءة بالمسيح الموعود. يقول د.هاني رزق في كتابه – يسوع المسيح ناسوته وألوهيته : عن هذا المزمور: « وقد تحققت هذه النبوءة في أحداث العهد الجديد، إن هذه النبوءة تشير إلى تآمر وقيام ملوك ورؤساء الشعب على يسوع المسيح لقتله وقطعه من الشعب، وهذا ما تحقق في أحداث العهد الجديد في

فترتين، في زمان وجود يسوع المسيح له المجد في العالم » ويقصد تآمر هيرودس في طفولة المسيح، ثم تأمر رؤساء الكهنة لصلب المسيح.

ووافقه – فخري عطية: في كتابه – دراسات في سفر المزامير: و حبيب سعيد في – من وحي القيثارة : وويفل ل كوبر في كتابه – مسيا عمله الفدائي وياسين منصور في – الصليب في جميع الأديان : ، فيرى هؤلاء جميعاً أن المزمور نبوءة بالمسيح المصلوب.

وقولهم بأن النص نبوءة بالمسيح ورد في سفر أعمال الرسل: « فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا: أيها السيد، أنت هو الإله صانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. القائل بفم داود فتاك: لماذا ارتجّت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل. قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس الذي مسحته هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل، ليفعلوا كل ما سبقت فعيّنت يدك ومشورتك أن يكون» أعمال 4/24–31 .

ولا نرى مانعاً في موافقتهم بأن المزمور نبوءة عن المسيح، فالمزمور يتحدث عن مؤامرات اليهود عليه، وهذا لا خلاف عليه بين المسلمين والنصارى، وإنما الخلاف: هل نجحوا أم لا؟ فبماذا يجيب النص؟ يجيب بأن الله ضحك منهم واستهزأ بهم، وأنه حينئذ أي في تلك اللحظة أرجف المتآمرين بغيظه وغضبه.

هل يكون ذلك لنجاحهم في صلب المسيح، أم لنجاته من بين أيديهم، ووقوعهم في شر أعمالهم؟

ثانياً: المزمور السابع

وفيه: « يا رب، إلهي عليك توكلت، خلصني من كل الذين يطردونني، ونجني لئلا يفترس كأسد نفسي، هاشماً إياها، ولا منقذ.

يا رب، إلهي، إن كنت قد فعلت هذا، إن وجد ظلم في يدي، إن كافأت مسالمي شراً، وسلبت مضايقي بلا سبب، فليطارد عدو نفسي، وليدركها، وليدس إلى الأرض حياتي، وليحط إلى التراب مجدي، سلاه.

قم يا رب بغضبك، ارتفع على سخط مضايقي، وانتبه لي. بالحق أوحيت، ومجمع القبائل يحيط بك، فعد فوقها إلى العلا، الرب يدين الشعوب، اقض لي يا رب كحقي، ومثل كحالي الذي في، لينته شر الأشرار، وثبت الصديق، فإن فاحص القلوب والكلى: الله البار، ترسي عند الله مخلص مستقيمي القلوب.

الله قاض عادل، وإله يسخط كل يوم، إن لم يرجع يحدد سيفه: مد قوسه وهيأها، وسدد نحوه آلة الموت، يجعل سهامه ملتهبة.

هو ذا يمخض بالإثم، حمل تعباً، وولد كذباً، كرى جُبّاً حفره، فسقط في الهوة التي صنع، يرجع تعبه على رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه. أحمد الرب حسب بره، وأرنم لاسم الرب العلي» .

مزمور 7/1–17

جاء في كتاب – دراسات في المزامير : لفخري عطية: واضح أنه من مزامير البقية، إذ يشير إلى زمن ضد المسيح، وفيه نسمع صوت البقية، ومرة أخرى نجد روح المسيح ينطق على فم داود بالأقوال التي تعبر عن مشاعر تلك البقية المتألمة، في أيام الضيق العظيمة .

والربط واضح وبيّن بين دعاء المزمور المستقبلي « يا رب، إلهي، عليك توكلت،

خلصني من كل الذين يطردونني ونجني.... » وبين دعاء المسيح ليلة أن جاءوا للقبض عليه.

ثم يطلب الداعي من الله عوناً؛ أن يرفعه إلى فوق، في لحظة ضيقه « فعد فوقها إلى العلا » ، ويشير إلى حصول ذلك في لحظة الإحاطة به « ومجمع القبائل – يحيط بك، فعد فوقها إلى العلا » .

ثم يذكر المزمور بأن الله « قاض عادل » فهل من العدل أن يصلب المسيح أم يهوذا ؟

ثم يدعو أن يثبت الصديق، وأن ينتهي شر الأشرار، ويؤكد لجوءه إلى الله، مخلص القلوب المستقيمة.

ثم يتحدث المزمور عن خيانة يهوذا. وقد جاء « مد قوسه وهيأها وسدد نحوه آلة الموت » القُبلة « ويجعل سهامه ملتهبة » .

ولكن حصل أمر عظيم، لقد انقلب السحر على الساحر، « هو ذا يمخض بالإثم، حمل تعباً، وولد كذباً، كَرَى جُبّاً، حفره فسقط في الهوة التي صنع، يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه » لقد ذاق يهوذا ما كان حفره لسيده المسيح، ونجا المسيح في مجمع القبائل إلى العلا.

ثم ينتهي المزمور بحمد الله على هذه العاقبة « أحمد الرب حسب بره، وأرنم لاسم الرب العلي » وهكذا نرى في هذا المزمور صورة واضحة لما حصل في ذلك اليوم، حيث نجى الله عز وجل نبيه، وأهلك يهوذا.

ولا مخرج للنصارى إزاء هذا النص إلا إنكاره، أو التسليم له، والقول بأن

المسيح له ظلم، وله إثم، وأنه ذاق ما كان يستحقه، وأن الله عادل؛ بقضائه قتل المسيح، وأن ذلك أعدل وأفضل من القول بنجاته؛ وصلب يهوذا الظالم الآثم، جزاءً لفعله وخيانته، وإلا فعليهم الرجوع إلى معتقد المسلمين؛ بأن النص نبوءة عن يهوذا الخائن، ولا رابع لهذه الخيارات الثلاثة.

ثالثاً: المزمور العشرون

وفيه: « ليستجب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب، ليرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون ليعضدك، ليذكر كل تقدماتك، وليستسمن محرقاتك، سلاه، ليعطك حسب قلبك، ويتمم كل رأيك، نترنم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا، ليكمل الرب كل سؤلك.
الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه، هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أما نحن: فاسم الرب إلهنا نذكره.
هم جثوا وسقطوا، أما نحن: فقمنا وانتصبنا، يارب: خلص، ليستجيب لنا الملك في يوم دعائنا»
المزمور 1/20 – 9 .

يقول هاني رزق في كتابه – يسوع المسيح في ناسوته ولاهوته : تنبأ داود النبي 1056 ق. م ، و حبقوق النبي 726 ق. م ، بأن الرب هو المسيح المخلص، نبوءة داود النبي، مزمور 9/20 « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه..»

وفي كتاب – دراسات في سفر المزامير : يؤكد فخري عطية هذا، ويقول

عن الفقرة التاسعة من هذا المزمور في هذا العدد تعبير يشير في الكتب النبوية إلى ربنا يسوع المسيح نفسه، تعبير يستخدمه الشعب الأرضي عن المخلص العتيد .

ولكن القراءة المتأنية لهذا المزمور ترينا أنه ناطق بنجاة المسيح، حيث يبتهل صاحب المزمور طالباً النجاة له في يوم الضيق، وليس من يوم مر على المسيح أضيق من ذلك اليوم الذي دعا فيه طويلاً، طالباً من الله أن يصرف عنه هذا الكأس « وإذ كان في جهاد؛ كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » لوقا 44/22 .

ويذكر النص إجابة دعائه وإعطاءه ملتمس شفتيه وسؤله وكل مراده « ليعطك حسب قلبك، ويتمم كل رأيك... ليكمل الرب كل سؤلك» .

وهذ العون والنجاء لما سبق وتقدم به المسيح من أعمال صالحة. « ليذكر كل تقدماتك، وليستسمن محرقاتك» .

وينص المزمور على اسم المسيح وأنه يخلصه من الموت في فقرة ظاهرة لا تخفى حتى على الأعمى « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص » فالنص يذكر المسيح بالاسم، ويتحدث عن خلاصه، أن الله رفعه، وأنه أرسل له ملائكة يحفظونه « ليرفعك اسم إله يعقوب، ليرسل لك عوناً من قدسه» .

ويبتهج المزمور لهذه النهاية السعيدة «نترنم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا» .

ويتحدث المزمور أيضاً عن تلك اللحظة العظيمة، لحظة الخلاص التي نجا فيها المسيح « هم جثوا وسقطوا، أما نحن فقمنا وانتصبنا » **فهو يتحدث عن لحظة وقوع الجند كما في يوحنا** « فلما قال لهم: إني أنا هو ؛ رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض » **يوحنا 6/18 .**

فدلالة هذا المزمور على نجاة المسيح أوضح من الشمس في رابعة النهار.

رابعاً: المزمور الحادي والعشرون

وفيه: « يا رب، بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك، كيف لا يبتهج جداً؟

شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لم تمنعه، سلاه. لأنك تتقدمه ببركات خير، وضعت على رأسه تاجاً من إبريز حياة، سألك فأعطيته، طول الأيام إلى الدهر والأبد عظيم، مجده بخلاصك، جلالاً وبهاء تضع عليه، لأنك جعلته بركات إلى الأبد، تفرحه ابتهاجاً أمامك، لأن الملك يتوكل على الرب، وبنعمة العلي لا يتزعزع.

تصيب يدك جميع أعدائك، يمينك تصيب كل مبغضيك، تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك، الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار، تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم، لأنهم نصبوا عليك شراً، تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها، لأنك تجعلهم يقولون: تفوق السهم على أوتارك تلقاء وجوههم، ارتفع يا رب بقوتك، نُرنم وتُنغّم بجبروتك » **المزمور 1/21 – 3 .**

يقول فخري عطية في كتابه – دراسات في سفر المزامير : إن المسيح

هو المقصود بهذا المزمور– ووافقه كتاب : تأملات في المزامير – لآباء الكنيسة الصادر عن كنيسة مار جرجس باسبورتنج.

وقولهم صحيح، فقد حكى المزمور العشرون عن دعاء المسيح وعن استجابة الله له، ويحكي هذا المزمور – 21 – عن فرحه بهذه الاستجابة « يا رب بقوتك يفرح الملِك، وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً... نُرنم وننغّم بجبروتك » .

وينص المزمور أن الله أعطاه ما سأله وتمناه « شهوة قلبه أعطيته، وملتمس شفتيه لم تمنعه،.. سألك فأعطيته » ، وقد كان المسيح يطلب من الله النجاة من المؤامرة « إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس » متى 39/26 .

ويذكر المزمور أن الله أعطاه حياة جديدة طويلة إلى قبيل قيام الساعة « حياةً سألَكَ فأعطيتَه، طول الأيام، إلى الدهر، والأبد» ، كما وضع عليه إكليل حياة، وهو غير إكليل الشوك الذي وضع على المصلوب، يقول المزمور: «وضعت على رأسه تاجاً من إبريز حياة» .

ويحكي المزمور عن أعداء المسيح الذين تآمروا عليه وفكروا في « مكيدة لم يستطيعوها » فهم لم يلحقوا الأذى به، فقد فشلت المؤامرة، لأنه رُفع « ارتفع يا رب بقوتك » .

وأما هؤلاء الأعداء: فترجع مكيدتهم عليهم « تصيب يدك جميع أعدائك، يمينك تصيب كل مبغضيك.. الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار، تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم.. تفوق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم » .

خامساً: المزمور الثاني والعشرون

وفيه: « إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي؟ عن كلام زفيري؟ إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هدوّ لي. وأنتَ القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل، عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجيتهم. إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يَخزَوْا.
أما أنا فدودة لا إنسان. عارُ عند البشر، ومحتقرُ الشعب. كل الذين يرونني يستهزئون بي.
يفغرون الشفاه، ويُنغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجه.
لينقذه، لأنه سُرّ به، لأنك أنت جذبتني من البطن. جعلتني مطمئناً على ثديي أمي. عليك ألقيت من الرحم. من بطن أمي، أنت إلهي. لا تتباعد عني لأن الضيق قريب. لأنه لا معين. أحاطت بي ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتني. فغروا عليّ أفواههم، كأسد مفترس مزمجر. كالماء انسكبتُ.
انفصلتْ كل عظامي. صار قلبي كالشمع. قد ذاب في وسط أمعائي. يبستْ مثل شَقفَة قوتي.
ولصق لساني بحنكي، وإلى تراب الموت تضعني. لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يدي ورجلي. أُحصى كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون فيّ. يقسمون ثيابي بينهم، وعلى لباسي يقترعون» . **المزمور 22/1–18 .**

ويُجمع النصارى على أن هذا المزمور بنوءة عن المسيح، فقد أحالت عليه الأناجيل يقول متى: « ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكي يتم ما قيل بالنبي: اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة » **متى 35/27 ومثله في يوحنا 24/19 ، والإحالة إلى هذا المزمور في قوله** « يقسمون ثيابي بينهم، وعلى لباسي يقترعون »

كما أن الرواية التي في المزمور توافق رواية الصلب في صراخ المصلوب: « إلهي إلهي لماذا تركتني » **متى 46/27 مرقس 34/15 .**

ويوافق نص المزمور ما جاء في الأناجيل في بيان حال المصلوب « كان المجتازون يجدفون عليه، وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلص نفسك، إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب، قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده » متى 27/39 – 43 . فهذا يشبه ما جاء في هذا المزمور « محتقر الشعب، كل الذين يرونني يستهزئون بي.. وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب، فلينجه» .

كما يوافق النص الأناجيل كرة أخرى في قوله « جماعة من الأشرار اكتنفتني، ثقبوا يدي ورجلي، أحصي على عظامي » فهي تدل على أخذ المصلوب يوم سُمرت يداه ورجلاه على الصليب.

لهذا كله كان إجماع النصارى على أن هذا المزمور نبوءة عن حادثة الصلب، خاصة أن داود لم يمت مصلوباً، فهو إذن يتحدث عن غيره.

والحق أن المزمور نبوءة عن المصلوب، لكنه ليس عيسى، بل الخائن يهوذا الأسخريوطي، فنراه وهو جزع، يائس، يصرخ: « إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» ، المزمور نبوءة عن المصلوب اليائس الذي يدعو فلا يستجاب له «إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هُدوّ لي.. عليَك اتكل آباؤنا فنجيتَهم، عليك صرخوا فنجوا، عليك اتكلوا فلم يخزوا. أما أنا فدودة لا إنسان... »

ويصف المزمور المصلوب بأنه « دودة لا إنسان، عارُ عند البشر، محتقَرُ الشعب »

فمَن هو هذا اليائس الموصوف بأنه دودة، وأنه عار عند البشر، وأنه محتقر، وأنه لا يستجاب له؟

إنه يهوذا، حيث جعلتْه خستهُ وخيانتهُ كالدودة، وأصبح عاراً على البشر،

كلَّ البشر، المسلمين واليهود والنصارى، بل وحتى البوذيين وغيرهم، لأنه خائن، والخيانة خسة وعار عند كل أحد، يحتقره الشعب، ولا يستجيب الله دعاءه.

ولا يقبل بحال أن يوصف المسيح بأنه دودة، والعجب من أولئك الذين يدعون ألوهيته كيف يستسيغون تسميته بدودة، بل الدودة هو الخائن يهوذا.

ثم كيف يوصف المسيح بالعار، وهو مجد وفخر للبشر؛ بل العار هو يهوذا، ونلحظ أن النص يصفه بالعار ليس فقط عند جلاديه وأعدائه، بل عند البشر جميعاً، ولا يمكن أن يكون المسيح كذلك، بل تفخر البشرية أن فيها مثل هذا الرجل العظيم الذي اصطفاه الله برسالته ووحيه.

كما نلحظ أن كلمة «عار» تلحق بالشخص نفسه، لا بالصلب الواقع عليه، فهو العار، وهو الدودة.

وكيف يكون المسيح عاراً وهو الذي يفخر به بولس في قوله « وأما من جهتي فحاشا أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع » غلاطية 14/6 فلم الفخر به إن كان عاراً ؟

وأما وصف المصلوب بأنه « محتقر الشعب» فهو وصف ينطبق على المصلوب وكلمة «الشعب» تشير إلى اليهود وأولئك الذين حضروا الصلب، وكانوا يحتقرون المصلوب.

سادساً: المزمور المائة والتاسع

وفيه: « يا إله تسبيحي، لا تسكت ؛ لأنه قد انفتح علّى فم الشرير، وفم الغش. تكلموا معي بلسان كذب. بكلام بغض، أحاطوا بي وقاتلوني بلا سبب. بدل محبتي يخاصمونني. أما أنا فصلوة. وضعوا علّى شراً بدل خير، وبُغضاً بدل حبي.

فأقم أنت عليه شريراً، وليقف شيطان عن يمينه. إذا حوكم فليخرج مذنباً، وصلاته فلتكن خطية.

لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر. ليكن بنوه أيتاماً، وامرأته أرملة. لِيَتِهْ بنَوُه تَيَهَاناً ويستعطوا. ويلتمسوا خبزاً من خِربهم. ليصطد المرابي كل ما له، ولينهب الغرباء تعبه. لا يكن له باسط رحمة، ولا يكن مُتَرَأِّفُ على يتاماه.

لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليمح اسمهم. ليذكر إثم آبائه لدى الرب ولا تمح خطية أمه.

لتكن أمام الرب دائماً. وليقرض من الأرض ذِكرهم. من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً، والمنسحق القلب ليميته.

وأحب اللعنة، فأتته، ولم يسر بالبركة، فتباعدت عنه. ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت، كمياه في حشاه، وكزيت في عظامه. لتكن له كثوب يتعطف به، وكمنطقة يتمنطق بها دائماً. هذه أجرة مبغضي من عند الرب، وأجرة المتكلمين شراً على نفسي.

أما أنت يا رب السيد فاصنع معي من أجل اسمك. لأن رحمتك طيبة نجني. فإني فقير، ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي. كظل عند ميله ذهبت. انتفضت كجرادة. ركبتاي ارتعشتا من الصوم، ولحمي هزل عن سمن. وأنا صرت عاراً عندهم. ينظرون إليّ وينغضون رؤوسهم.

أعني يا رب، إلهي. خلصني حسب رحمتك. وليعلموا أن هذه هي يدك، أنت يا رب فعلت هذا. أما هم فيلعنون. وأما أنت فتبارك. قاموا وخزوا. أما عبدك فيفرح. ليلبس خصمائي خجلاً وليتعطفوا بخزيهم كالرداء.

أحمد الرب جداً بفمي، وفي وسط كثيرين أسبحه. لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلصه من القاضين على نفسه» . **مزمور 109/1 – 31**

وهذا المزمور أيضاً يراه النصارى على علاقة بقصة الصلب، وأن المقصود في بعضه يهوذا، وهو قوله: « ووظيفته ليأخذها آخر، ليكن بنوه أيتاماً، وامرأته أرملة.. ويلتمسوا خبزاً من خربهم » وقد أحال عليه كاتب «أعمال الرسل» وهو يتحدث على لسان بطرس حين قال متحدثاً عن يهوذا: « لأنه مكتوب في سفر المزامير: لتصر داره خراباً، ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته آخر » أعمال 15/1 – 26 .

وقد انتخب الحواريون بدلاً من يهوذا تنفيذاً لهذا الأمر يوسف ومتياس، وأقرعوا بينهما، فوقت القرعة علي متياس، فحسبوه مكملاً للأحد عشر رسولاً انظر أعمال 23/1 – 26 .

إذن فالنص في هذا المزمور متحدث عن يهوذا ولا ريب، وهذا صحيح، فهو يتحدث عن محاكمته « وإذا حوكم فليخرج مذنباً » فمتى حوكم يهوذا إذا لم يكن هو المصلوب؟ والنص يتحدث عن محاكمته، وعن نتيجة محاكمته « لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر » ، كما يتحدث المزمور عن وقوفه على الصليب، وعن يمينه شيطان، ذاك الذي كان يستهزأ به، فمتى وقف شيطان عن يمين يهوذا، ومتى حوكم إن لم يكن ذلك في تلك الواقعة التي تجلى فيها غضب الله عليه.

النص كما رأينا يتحدث في شطرين على لسان المسيح.

ففي الشطر الأول: يتحدث عن الأشرار الذين قاتلوه بلا سبب، ووضعوا عليه الشر بدل الخير.

وفي الشطر الثاني: يستمطر القائل نفسه اللعنات على هذا الشرير، ويسأل الله الخلاص حسب رحمته « أعِني يا رب، إلهي، خلصني حسب رحمتك.. » ويفرح المسيح لخلاصه « لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلصه من القاضين على نفسه» .

1.30 قراءة سريعة في المزامير

وخلال ستة وثلاثين مزموراً درسها الأستاذ منصور حسين تكاملت الصورة، وتكررت مراراً من غير أي تناقض أو تخالف، لقد كانت نصوص المزامير الستة والثلاثين تتمحور حول ثلاثة موضوعات:

1.31 الآيات التي تشير إلى دعاء المسيح أن يخلصه الله من الصلب

ومنها: « عند دعائي استجبت لي يا إله بري، في الضيق رحبت لي، تراءفْ علّي واسمع صلاتي » **المزمور 1/4** .

«عد يا رب، نج نفسي، خلصني من أجل رحمتك، لأنه ليس في الموت ذكرك » **المزمور 4/6 – 5** .

« إليك يا رب أصرخ، وإلى السيد أتضرع، ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة ؛ هل يحمدك التراب ؟ هل يخبر بحقك؟، استمع يا رب، وارحمني يا رب، كن معيناً لي » **المزمور 8/30 – 10** .

« عليك يا رب توكلت، لا تدعني أخزى مدى الدهر، بِعَدْلِكَ نجني، أمِلْ إلي أذنك، وسريعاً أنقذني، كن لي صخرة حصن، بيت ملجأ لتخليصي، لأن صخرتي ومعقلي أنت، من أجل اسمك تهديني وتقودني، أخرجني من الشبكة التي خبئوها لي، لأنك أنت حصني المزمور **1/31–4** .

« الرحمن يا الله لأنه بك احتمت نفسي، وبظل جناحيك أحتمي، إلى أن تعبر المصائب، أصرخ إلى الله العلي، الله المحامي عني ^ المزمور 1/57 2 .

1.32 الفقرات التي أشارت إلى رفع المسيح، وتخليصه من الصلب،

منها: « ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم، لأن الرب قد سمع صوت بكائي، سمع الرب تضرعي، الرب يقبل صلاتي » **المزمور 8/6 – 9** .

« الرب صخرتي وحصني ومنقذي.... خلَّصَني لأنه سُربي » **المزمور 2/18 – 19** .

« حي هو الرب، ومبارك صخرتي.... إلى الأبد » **المزمور 46/18 – 50** .

« إلهي فاتكل عليه، لأنه ينجيك من فخ الصياد، ومن الوباء الخطر، بخوافيه يظللك، وتحت أجنحته تحتمي، ترس ومجن حقه، لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير... لأنك قلت: يا رب، أنت ملجأي، جعلت العلا مسكنك، لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك، لئلا تصدم بحجر رجلك، على الأسد والصل تطأ، الشبل والثعبان تدوس، لأنه تعلق بي أنجيه، أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه، وأريه خلاصي » **المزمور 2/91 – 16** .

1.33 الفقرات التي تشير إلى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلاً من المسيح

منها: « لأنك أقمت حقي ودعواي، جلست على الكرسي قاضياً عادلاً، انتهرت الأمم، أهلكت الشرير،.. تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها، في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم، معروف هو الرب قضاءً أمضى: الشرير يعلق بعمل يده » **المزمور 4/9 – 16** ،

فهل تحقق قضاء الله الماضي في يهوذا أم تخلف؟

« الشرير يتفكر ضد الصديق، ويحرّق عليه أسنانه، الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت، الأشرار قد سلوا السيوف، ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير، لقتل المستقيم طريقهم، سَيْفُهُم يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر » **المزمور 12/37 – 15 ، من ذا الذي ارتدت المؤامرة عليه، فدخل سيفه في قلبه، وانكسرت قسيه بفشل مؤامرته كما في مزمور آخر** « يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها » **المزمور 3/10 .**

« يا الله أنت عرفت حماقتي وذنوبي عنك لم تخف، غطى الخجل وجهي، صرت أجنبياً عند إخوتي، وغريباً عند بني أمي،... . أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي، قدامك جميع مضايقي، العار قد كسر قلبي فمرضت، انتظرت رقة فلم تكن، ومعزين فلم أجد، ويجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خَلاًّ» **المزمور 5/69 – 21 ، فمن هو صاحب الحماقة والذنوب والعار والخزي والخجل، من هو ذاك الذي كسر العار قلبه، ذاك الذي سقوه الخل وهو على الصليب، هل يعقل أن نقول : إنه المسيح؟ لا، إنه يهوذا الخائن.**

« خاصِمْ يا رب مخاصِمي، قاتِلْ مقاتلي،.. ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي، ليرتد إلى الوراء، ويخجل المتفكرون بإساءتي.. لأنهم بلا سبب أخفوا لي هوة شبكتهم، بلا سبب حفروا لنفسي، لتأته التهلكة وهو لا يعلم، ولتنشب به الشبكة التي أخفاها، وفي التهلكة نفسها ليقع » **المزمور 1/35 –8 .**

ويخلص الأستاذ العلامة منصور حسين إلى نتيجة وهي: « مِن جماع ما تقدم لا نخلص إلا بأن المزامير تنبأت بحق بأن الله مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، يرفعه من أبواب الموت، يرفعه فوق القائمين عليه، يرسل من العُلا فيأخذه.

أما يهوذا الإسخريوطي الذي حفر له هذه الحفرة، وأتى على رأس الجمع من جنود وخدام

ليقبضوا عليه، على المسيح سيده، فإنه في الحفرة نفسها يقع، وبعمل يديه يعلق، رجع تعبه على رأسه، وعلى هامته هبط ظُلمه، صار عاراً عند البشر، فقبض عليه هو بدلاً من المسيح، وحوكم هو، وصلب بدلاً منه.

وهكذا تستقيم النبوءة في المزامير، وهكذا تتجلى النبوءة في المزامير، في أسطع وأروع وأسمى ما تكون النبوءة، ليست آية نحرفها، أو كلمة نُحوّر معناها، بل صورة كاملة، عشرات الآيات، عشرات المزامير، كلها تنطق بصورة واحدة متكاملة، تتكرر كثيراً، ولكن أبداً لا تتغير.

هذه الحقيقة هي تلك التي نطق بها القرآن، واعتقدها المسلمون... ولمن يريد أن يزيد يقيناً، فها هي المزامير كلها في الكتاب المقدس، الذي يؤمن به المسيحيون، ويتداولونه، وإليها فليرجع، ولن يزيده هذا إلا يقيناً وتقديراً لهذه الحقيقة التي انتهينا إليها.. » .

والاحتجاج بالمزامير على نجاة المسيح قديم، بل يرجع للمسيح إن صح ما في إنجيل برنابا. فقد جاء فيه أن المسيح قال: « إن واحداً منكم سيسلمني فأباع كالخروف، ولكن ويل له، لأنه سيتم ما قاله داود أبونا عنه، أنه سيسقط في الهوة التي أعدها للآخرين» **برنابا 213/24 – 26 .**

وإذا قلنا إن المزامير بشرت بنجاته، فللنصارى أن يقولوا: كيف لم يعرف المسيح ذلك من العهد القديم؛ لم قال عن نفسه بأنه سيصلب كما في الأناجيل؟

والإجابة عن هذا التساؤل لا تلزمنا نحن المسلمين الذين لا نعتد بما جاء في هذه الكتب، إلا ما قام عليه دليل من ديننا.

ثم القصة هي امتحان للمسيح عليه السلام، كما كان الأمر بالذبح امتحاناً لإبراهيم وابنه الوحيد، ولو عرف المسيح نتيجة الامتحان مقدماً لما كان له أي معنى، كما لو عرفها إبراهيم، فلذلك خفيت عليه، وليس

لقصور فهمه أو إدراكه، حاشاه، ولكن لتتحقق إرادة الله بامتحانه، ونجاته في الامتحان.

ثم لا يمكن القطع بأن المسيح لم يعرف المعنى الصحيح الذي تدل عليه النبوءات، بل قد يكون المسيح عرف ذلك فلجأ إلى الله يتضرع إليه ويسأله صرف هذه الكأس، لأنه عرف أن الله يستجيب دعاءه وتضرعه، بينما لو وافقنا الرواية الإنجيلية بأن المسيح علم أنه سيصلب ثم صلب، فما فائدة تضرعه ودعائه، ولم كان جزعه يأسه وصراخه على الصليب «لماذا تركتني» ؟

كما ثمة أمر آخر وهو أن فهم النبوءات لا يعني يقيناً معرفة الساعة، وتحديد اليوم الذي سيسعى أعداؤه فيه للقبض عليه.

كما ثمة نبوءاتُ أو نصوص. تمنع أن يكون المسيح قد صلب فداء عن البشرية منها ما جاء في سفر الأمثال: « الأشرار يكونون كفارة لخطايا الأبرار » أمثال 18/21 .

ويورد المحققون نصاً توراتياً آخر يدل على نجاة المسيح وصلب غيره، فقد جاء في سفر الأمثال « بر الكامل يقوم طريقه، أما الشرير فيسقط بشره بر المستقيمين، ينجيهم، وأما الغادرون فيؤخذون بفسادهم، الصديق ينجو من الضيق، ويأتي الشرير مكانه » الأمثال 5/11 – 8 .

لكن النصارى يرون أن ثمة نبوءة في غير المزامير قد وردت في صلب المسيح، ألا وهي ما جاء في إشعيا 52 و 53 وفيه: « هو ذا عبدي يعقل، ويتعالى، ويرتقي ويتسامى جداً، كما اندهش منه كثيرون، كان منظره كذا مفسدة أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم، هكذا ينضح أمماً كثيرين، من أجله يسد ملوكُ أفواههم، لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به، وما لم يسمعوه فهموه.

من صدق خبرنا، ولمن استعلنت ذراع الرب، نبت قدامه كفرخ، وكعرق من أرض يابسة، لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع، ومختبر الحزن، وكمستر عنه وجو هنا، محتقر فلم نعتد به.

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصلوباً، مضروباً من الله ومذلولاً، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبجبره شفينا، كلنا كغنم ضللنا، مِلْنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا، ظلم أما هو فتذلل، ولم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه.

من الضغطة ومن الدينونة أخذ، وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي، وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فمه غش.

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن، ان جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلاً تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح، من تعب نفسه يرى ويشبع، وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها، لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء، يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه، وأحصي مع أثمةٍ، وهو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين » **إشعيا 52/13 – 53/12** .

ويربط النصارى بينه وبين ما جاء في مرقس « فتم الكتاب القائل: وأحصي مع أثمة

» مرقس 28/15 ومقصوده كما لا يخفى ما جاء في إشعيا « سكب للموت نفسه، وأحصى مع أثمة » ومثله في أعمال الرسل أعمال 22/8 – 23 .

والنص ولا ريب قد تعرض للكثير من التلاعب والتحوير، وتجزم بهذا التلاعب عندما تلحظ غموض عباراته، وحين تقارن نص إشعيا مع ما جاء في أعمال الرسل، وهو ينقل عنه، وفيه « وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه، فكان هذا: مثل شاة سيق إلى الذبح، ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه، هكذا لم يفتح فاه، في تواضعه انتزع قضاؤه، وجيله من يخبر به، لأن حياته تنتزع من الأرض » أعمال 8/ 32– 33 .

لذا حق للمحققين أن يروه نصاً حور لينطبق على المسيح، ودليل ذلك أن فيلبس الحواري قرأ النص ولم يفهم منه أنه نبوءة عن المسيح، حتى أطلعه عليه خصي حبشي كان وزيراً لملك كنداكة ملك الحبشة، وبعد هذه القصة تنصر الرجل، وعمّده فيلبس، يقول لوقا: « فبادر إليه فيلبس وسمعه يقرأ النبي إشعياء فقال: ألعلك تفهم ما أنت تقرأ؟ فقال: كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد.وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه.

وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه فكان هذا: مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه. في تواضعه انتزع قضاؤه، وجيله من يخبر به، لأن حياته تنتزع من الأرض.

فأجاب الخصي فيلبس: وقال أطلب إليك: عن من يقول النبي هذا؟ عن نفسه أم عن واحد آخر؟ ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب فبشره بيسوع...فعمده، ولما صعدا في الماء خطف روح الرب فيلبس، فلم يبصره الخصي أيضاً، وذهب في طريقه فرحاً، وأما فيلبس فوجد في أشدود» أعمال 26/8 –40 ، فالخصي هو الذي أوحى إلى فليبس ثم

النصارى فكرة تنبؤ نص إشعيا بالمسيح.

والمسلمون لا يرون في هذا النص أي نبوءة عن المسيح، ويستغرب المسلمون ويستنكرون من الربط بين نص إشعيا وقصة الصلب في الأناجيل، فنص إشعيا يتحدث عبد، فيما يقول النصارى بألوهية المسيح، فكيف يجمعون بين عبوديته لله وألوهيته في وقت واحد.

وهذا العبد قبيح في منظره مخذول محتقر لا يعتد به، فهو ليس المسيح على أي حال « هو ذا عبدي... كان منظره كذا مفسدة أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم.. لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع، ومختبر الحزن، وكمستر عنه وجو هنا، محتقر فلم نعتد به» .

والنص يتحدث عن الذي « لم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه » .

بينما المسيح تكلم مراراً وتكراراً، فلقد قال لبيلاطس أثناء محاكمته: « أنت تقول: إني ملك، لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم، لأشهد للحق، كل من هو في الحق يسمع صوتي » يوحنا 37/18 وكان قد قال له قبل: « مملكتي ليست في هذا العالم، لو كانت مملكتي في هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هذا » يوحنا 36/18 .

كما تكلم في المحاكمة لما لطمه أحد الخدم فأجابه المسيح: « إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي، وإن حسناً فلماذا تضربني ؟ » يوحنا 22/18

كما تكلم قبلها طويلاً في البستان، وهو يناجي، طالباً من الله أن يعبر عنه

هذه الكأس...

فإن أصر النصارى بعد ذلك على أن النبوءة تنطبق على المسيح، فقد قالوا إذن بأن المسيح تكلم وهو مغلق الفم !!!

كما يذكر النص شجاعة وتماسكاً لا تتناسب وصراخ المصلوب، وجزعه، وقنوطه، فالمسيح كشاة أمام جازيها صامتة، «وهكذا لم يفتح فاه » ثم إنه « أخذ من السجن والمحاكمة، ومن الذي يعلن إلى جيله أنه قد بتر في أرض الأحياء، بسبب تعديات شعبي كان مبتلاً » .

ويرى منصور حسين في الترجمة المتداولة لإشعيا ما يؤكد فكرته بأن المصلوب هو يهوذا، ويقارن هذه الترجمة مع النص الإنجليزي، للخروج من غموض النص العربي.

وفيه: « لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به، وما لم يسمعوه فهموه » ، وفي النص الإنجليزي ما ترجمته: «ما لم يسمعوه اعتبروه » ، والفرق بين « فهموه » و « اعتبروه » واضح.

فكلمة « فهموه » تفيد علمهم ومعرفتهم وإدراكهم، بينما كلمة « اعتبروه » لا تفيد إلا تقرير الحكم، فكما أخبرت المزامير بنجاة المسيح قبل إشعيا بثلاثمائة سنة يخبر إشعيا بنجاته، لكنهم يرون صلبه كما يتبادر لذهنهم، فيروون ما لم يخبروا به، بل عكسه، ولذلك فهم اعتبروا: أن المصلوب هو المسيح.

وأما قوله « من صدق خبرنا، ولمن استعلنت ذراع الرب » ،

فهو سؤال يفهم منه أن الخبر المقصود هو نجاة المسيح الذي لم يصدقه أحد، ويجيب النصُ – كما يرى الأستاذ منصور حسين – بأن الذي صدق بنجاة المسيح شخص– محتقر مخذول من الناس، رجل أوجاع، ومختبر الحزن، وكمستر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به – إنه الذي تحمل الأوجاع، والذي احتقر، وباء بإثمه وإثم المتآمرين معه، إنه يهوذا الخائن، الذي رأى عناية الله تحيط بالمسيح وهو يصعد وينجو فهو – مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا – فلقد تحمل يهوذا وزر المؤامرة – وضع عليه إثم جميعنا – ، لأنه التلميذ الخائن، وكان هؤلاء اليهود كالغنم الضالة – فكلهم كغنم ضلوا .

وقوله: « من أجل ذنب شعبي » يدل على أنه ليس المراد غفران الخطية، إذ لو أرادها لقال غفران ذنب جميع العالم.

وقد ظن الناس أنه قطع في أرض الأحياء، وأنه ضرب من أجل ذنبي، « وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنبي » ، لكن الحقيقة غير ذلك، وفي النص الإنجليزي « من سيعلن لجيله ؟ » أي هذه الحقيقة الخافية ؛ إنه محمد صلى الله عليه وسلم.

ويكمل النص واصفاً يهوذا في لحظة محاكمته « على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فمه غش » ولقد يعجب القارئ أن يقال مثل هذا في حق يهوذا، ولا عجب، فلقد كان يهوذا لحظة المحاكمة صادقاً حين قال: « من الآن فإنهم

يرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة » ، وهو لم يعمل ظلماً بحق محاكميه الذين لو علموا حقيقة شخصيته لأفرجوا عنه.

لكن الرب جل وعلا سر بما صنع به « وأما الرب فسر بأن يسحجه بالحزن » ، وهل يسر لما فعل بالمصلوب لو كان هو المسيح؟ إنما سر بعاقبة مكر يهوذا، فتكامل نص إشعيا مع نبوءات المزامير.

ويرد إشكال في حديث النص عن فادي الخطيئة الغير والشافع فيهم « هو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين » ، ولكن أيا كان، فإن دلالة النص وهو في هذا الوضع يورد من الأسئلة والإشكالات على من قال بصلب المسيح أكثر مما يورد على من قال بنجاته وصلب يهوذا.

ويرى الأستاذ محمد الأفندي أن لا علاقة بين هذا الإصحاح في إشعيا، وبين حادثة الصلب، فالإصحاح يتحدث عن قصة بني إسرائيل، وذلهم في بابل بسبب معاصيهم ومعاصي سلفهم، فحاق بهم عقوبة الله التي عمّت صالحيهم وفجارهم، ويوضح ذلك في أن قوله « هو ذا عبدي.. كما اندهش منك كثيرون كان منظره كذا مفسدًا أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم » فالمقصود بالعبد شعب إسرائيل، فقد عُهد في التوراة إطلاق الفرد والمراد الشعب كما في إشعيا: « يقول الرب، خالقك يا يعقوب، وجابلك يا إسرائيل..... وإذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك، لأني أنا الرب إلهك، قدوس إسرائيل، مخلصك، جعلت مصر فديتك » إشعيا 43/1 – 3 ومثله في إشعيا 8/41 .

فيصف إشعيا 52 و 53 غربة بني إسرائيل وذلتهم، ثم يتحدث عن عودة أبنائهم من أرض السبي «نبت قدامه كفرخ، وكعرق في أرض يابسة» فقد عادوا للأرض المقدسة، ونبتوا فيها، كما وصفهم إرميا النبي في مراثيه.

ولا يصح حمله على المسيح، لقوله: « لا صورة ولا جمال » بل الحديث عنهم، وقد تغيرت صورتهم بسبب الذل فكان الشعب « محتقر مخذول.. الرب وضع عليه إثم جميعنا » ويفسره قول إرميا وقد شاهد الأسر البابلي: « آباؤنا أخطؤوا، وليسوا بموجودين، ونحن نحمل آثامهم، عبيد حكموا علينا، ليس من يخلص من أيديهم، جلودنا اسودت من جري نيران الجوع » مراثي 7/5 – 10 .

وقوله: « ظلم » كقوله « ثم ظلمه آشور بلا سبب » إشعيا 4/52 ، وكقوله: « إن بني إسرائيل وبني يهوذا معاً مظلومون » ارميا 33/50

وأما قوله: « كشاة تساق إلى الذبح.... » فهو حديث عن ملك بابل، وقد ساق بني إسرائيل، كما تساق الشياه إلى الذبح، كما في إرميا 40/51 « أنزلهم كخراف للذبح، وككباش مع أعتدة » فمات أكثرهم جوعاً.

وقوله: « وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته » أي أن دفنهم في بابل كان مع الوثنيين، ولا يمكن حمله على المسيح المدفون وحده في بستان، في قبر جديد، لم يدفن فيه معه لا شرير ولاغني.

«فسَّر أن يسحقه بالحزن» وفي نسخة كاثوليكية: «رضي أن يسحقه بالعاهات، أن جعل نفسه ذبيحة إثم. » وفي الأصل العبري: « أراد الرب أن يضربه بالحزن، لأنه جعل نفسه آثماً. » ومثله في قول إشعيا لأورشليم: « اثنان هما ملاقياك، من يرثي لك الخراب،

والانسحاق، والجوع، والسيف، بمن أعزيك، بنوك قد أعيوا، واضطجعوا في رأس كل زقاق »
إشعيا 19/51

وقوله: « يرى نسلاً تطول أيامه » **فهو إشارة لرجوعهم إلى وطنهم، بينا المسيح ليس له نسل.**

وأما قوله: « عبدي البار بمعرفته يبرر كثيرون، وآثامهم هو يحملها » **يتحدث كيف شمل البؤس بررة بني إسرائيل وعصاتهم، كما قال الله:** «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » **الأنفال : 125 وإكراماً للبررة من بني إسرائيل، طهرهم الله من ذنبهم، ورفع عنهم هذه العقوبة، كما في ارميا:** « في تلك الأيام يطلب إثم إسرائيل فلا يكون، وخطية يهوذا فلا توجد، لأني أغفر لمن أبقيه » **إرميا 20/50 فأسرهم وقد حملوا خطيئة آبائهم، ثم غفرت ذنوبهم.**

وقوله: « هو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين » **، والترجمة الصحيحة يراها الأفندي:** «وللعصاة يدعو » **بالتوبة والهداية.**

وينوه بتحريفهم في قولهم: « ضرب من أجل ذنب شعبي » **، وهي في الأصل العبري** « ضربوا » **فحرفوها لتنطبق على المسيح.**

وقوله « أحصي مع أثمة » **يحكى عن وجود بني إسرائيل مع الوثنيين في بابل، ولا يصح أن تصرف للمسيح، وأن الأثمة هما اللصان، إذ قد وعد أحدهما الفردوس، فكيف يوصف بعد ذلك بالآثم ؟!**

وأقرب هذه الأقوال وأصحها، ما ذهب إليه الأفندي في أن الإصحاح

يتحدث عن شعب إسرائيل، وسبيه، وذلته، ثم نجاته. ويدل عليه أن هذا هو فهم النص عند اليهود وهم أصحاب الكتاب.

1.35 إبطال الصلب بنبوءات وأخبار الأناجيل والرسائل

تتحدث الأناجيل الأربعة عن صلب المسيح، كخاتمة لوجوده على الأرض، ولكن: هل تنبأ المسيح بأنه سيصلب ؟ وهل عرف بذلك تلاميذه ؟

لا ريب أن إجابة النصارى تتلخص في أن المسيح عرف أنه سيصلب وسيسلم لأعدائه، وأنه أخبر تلاميذه بذلك. وحجتهم في ذلك قول متى: « تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يسلم ليصلب » متى 1/26 لكن الناظر في الأناجيل، يرى أيضاً أن المسيح تنبأ بنجاته، بل أعلنها على ملأ اليهود، وتحداهم، وأخبر بأنه غلبهم، وغلب العالم.

فكما تشهد الأناجيل بصلب المسيح، فإنها تنقل عن المسيح شهادته بنجاته، وقد تجاهل النصارى هذه الروايات، ولم يلتفتوا إليها.

ولكن الحقيقة تكمن في أن خبر تنبؤ المسيح بقتله أو صلبه، قول دخيل على الأناجيل، ملحق بها، ويقيم محمد أبو الغيط الفرت الأدلة على ذلك، ومنها:

* أن العبارة في متى وردت بلا مقدمة، ولا مناسبة، ولا تعليق عليها من قبل الحواريين، حتى وكأنها تتحدث عن حدث عادي، فلئن صحت، دل

ذلك على أن ابن الإنسان المصلوب المسلّم لأيدي الخطاة، هو غير المسيح.

* ذكر الإنجيليون الثلاثة الذين ذكروا الخبر بأن المسيح سيقوم في اليوم الثالث انظر متى 23/17، مرقس 32/9، لوقا 33/18 ، وهذا لم يحصل، بل مكث ما لا يزيد بحال عن ليلتين ويوم.

* يقترن وصف الأناجيل الثلاثة لردة فعل التلاميذ حيال هذا الخبر بكثير من الغرابة، ففي متى 1/26 – 2 لم يذكر لهم حساً ولا خبراً، بيد أنه في متى 23/26 ذكر بأنهم « حزنوا جداً» ويفهم منه أنهم فهموا مراده فحزنوا، لكن مرقس يقول: « وأما هم فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه » مرقس 32/9 ، ويؤكد لوقا هذا بقوله: « وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً، وكان هذا الأمر مخفياً عنهم، ولم يعلموا ما قيل » .

* وإضافة إلى تناقض النصوص، فإن في خوف التلاميذ من المسيح ما يدعو للعجب، فقد عرف بدماثة خلقه، وبتحببه لهم، حتى إنه غسل أرجلهم، وكثيراً ما كانوا يسألوه، فِلمْ لم يسألونه في هذا الأمر الخطير؟

* تتحدث المواضع الأربعة – التي ذكرت تنبؤه بالموت – عن تسليم ابن الإنسان، وقتله أو صلبه، ولا تنص على عيسى، لكن اللفظ – وإن تبادر في الذهن إلى المسيح – فإنه يصح أن يطلق على غيره، بدليل أنهم سألوه عن ابن الإنسان مَن هو بقولهم: « من هو هذا ابن الإنسان؟ » يوحنا

34/12 ولو كان خاصاً هذا اللقب بالمسيح، لما كان في سؤالهم وجه.

*** ومما يدل على عدم صحة التنبؤ بالصلب والقتل: فرار التلاميذ، وفيهم بطرس الذي قال له المسيح:** «طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك، وأنت متى رجعت ثبت إخوتك، فقال له: يا رب، إني مستعد أن أمضي معك، حتى إلى السجن، وإلى الموت» **لوقا 32/22 – 34**

فدل هذا على معرفتهم بأن المأخوذ غيره، كما قد عرفوا ذلك فهربوا، وقد قال عنهم المسيح: « الذين أعطيتني حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك » **يوحنا 12/17 .**

ثم بعد ذلك ولأن أمر المصلوب لا يهمهم وقد عرفوا بنجاة سيدهم لم يهتموا بمتابعة المصلوب وهو على الصليب، أو في أثناء المحاكمة، إلا ما جاء عن بطرس ويوحنا وبعض النسوة.

كما تذكر الأناجيل دليلاً آخر على عدم صحة هذه النبوءات عن صلب المسيح، بل تدلل على أن المسيح تنبأ بنجاته وفهم التلاميذ منه ذلك، وقد أشكل عليهم رؤيتهم للمأخوذ وقد قبض عليه، وظنوه المسيح، فوقعوا فيما حذرهم منه المسيح، وهو ما ذكره مرقس في إنجيله، من أن المسيح قال لتلاميذه: « كلكم تشكون فيَّ في هذه الليلة » **مرقس 27/14 .**

لا تذكر الأناجيل شيئاً عن شك التلاميذ، سوى ما ذكرته عن بطرس الذي أنكر المأخوذ ثلاث مرات ليلة المحاكمة، وأما الآخرون فصمت مطبق، فكيف شك التلاميذ ؟

يجيب العلامة أحمد عبد الوهاب بأن الشك هو تراجع داخل النفس، ويستشهد لتفسيره بما جاء في غير الترجمة العربية، فالنص في التراجم الأخرى تعريبه هكذا: « كلكم ترتدون عن عقيدتكم وتزلون » .

ويفرق بين الإنكار والشك، فالشك عمل قلبي، والإنكار: قد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقده في قلبه، والذي وقع من التلاميذ شك لا إنكار. فلقد آمن التلاميذ بالمسيح، وصدقوه فيما تنبأ به، فإذا رأوا ما اعتبروه مخالفاً لنبوءاته، فسوف يحصل منهم الشك، والردة عن العقيدة.

ويورد هنا أحمد عبد الوهاب احتمالين:

الأول: أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده، وستُحدث له ألماً ومعاناة، إلا أنها ستفشل، وسينقذه الله من القتل، كما في قوله: « ستطلبونني ولا تجدونني » . وهذا الذي حصل ولم يشاهدوه، بل شاهدوا ما حسبوه وظنوه نقيضه، فقد رأوا المسيح مأخوذاً مصلوباً، فوقعوا في الشك به لأن كلامه لم يتحقق..

والثاني: أن المسيح تنبأ بأن المؤامرة ستنتهي بقتله.

وهذا ما يدحضه العود إلى لحظة القبض على المسيح حيث نجد أن التلاميذ جميعاً قد هربوا، وتركوا المسيح وحده. ويبدو هنا شكهم واضحاً، لقد حصل ما لم يتوقعوه – فيما يظهر لهم –، وما لم يتنبأ به المسيح.

فلئن كان أخبرهم بأن سيُقبض عليه وسيقتل، فليس ثمة ما يثير الشك، وإن كان الاحتمال الأول بأنه سينجو، وأن المؤامرة ستفشل، ولكنهم يجدونه – فيما يظهر لهم – قد قبض عليه، ولم تتحقق نبوءته، فحينئذ وقعوا في الشك.

فالنصارى أمام خيارين:

الأول: نفي الشك عن التلاميذ وتكذيب المسيح.

الثاني: التسليم بأن الأناجيل تذكر نبوءات غير صحيحة تنسبها للمسيح.

فإن رفضوهما فليس لهم إلا أن يصدقوا بفشل المؤامرة، ونجاة المسيح من الصلب.

إذن فلقد تحقق الشك، حين حسبوا المسيح هو المأخوذ والمصلوب، وقد كان أخبرهم بنجاته، كما قد سمعوا منه مراراً، كما سيأتي تفصيله.

وأما سيء الذكر في الأناجيل – بطرس–، فإنه الوحيد من بين التلاميذ الذي ذكر أصحاب الأناجيل شكه، ويتمثل شكه عند النصارى في تنكره للمسيح، قبل أن يصيح الديك صباح تلك الليلة مرة أو مرتين على خلاف بين متى ومرقس.

لكن أحمد عبد الوهاب يفرق مرة أخرى بين الشك والإنكار، فما حصل من بطرس هو إنكار، وليس بشك، فقد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقده بقلبه.

إن خبر تنبؤ المسيح بقتله وصلبه، معارَض بنصوص كثيرة، أخبر المسيح فيها بنجاته، ومنها قوله حسبما جاء في يوحنا: « فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه، فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانا يسيراً بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » .

وقد فهم منه اليهود أنه أراد نجاته منهم « فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن ؛ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين، ويعلم اليونانيين، ما هذا القول الذي قال: ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» **يوحنا 32/7 – 36** .

ومرة أخرى، جاهر المسيح بنجاته منهم قائلاً: « أعلم من أين أتيت، وإلى أين أذهب، وأما أنتم، فلا تعلمون من أين آتي، ولا إلى أين أذهب .... قال لهم يسوع أيضاً: أنا أمضي، وستطلبونني وتموتون في خطيتكم، حيث أمضى أنا، لا تقدرون أنتم أن تأتوا. فقال اليهود: ألعله يقتل نفسه حتى يقول: حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. فقال لهم: أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم ...

فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون إني أنا هو، ولست أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي، والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الأب وحدي، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه » **يوحنا 21/8 – 29** .

ثم مرة أخرى، لما أعطى يهوذا اللقمة قال لتلاميذه: « يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد، ستطلبونني، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن..... قال له سمعان بطرس: يا سيد، إلى أين تذهب، أجابه يسوع: حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني، ولكنك ستتبعني أخيراً » **يوحنا 32/13 – 36** .

ومنها أيضا قول المصلوب – يهوذا – وهو في المحاكمة: « من الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله » لوقا 69/22 فقد رأى يهوذا نجاة المسيح بما رآه أو سمعه من المسيح عن نجاته، وما شاهده من نجاة المسيح لحظة ألقي الشبه عليه، وهو يخبر أنه في تلك اللحظة، المسيح في السماء، وقد رفع بقوة الله.

وقد رأى المحققون في هذه النصوص نبوءة واضحة بنجاة المسيح عليه السلام من يد أعدائه، وأنه سيرفع للسماء، فهو المكان الذي لا يقدرون عليه، ولو كان مقصده الموت، فإن ذلك أمر يطيقه كل أحد، كما أن أحداً لا يتحدى بأنه سيموت وهم لن يستطيعوه. لقد كان المسيح يتحدى أعداءه وهو يقول: « هو ذا بيتكم، يترك لكم خراباً، لأني أقول لكم: إنكم لا تروني من الآن، حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب » متى 28/23 – 29 .

ومن النصوص التي تحدثت أيضاً عن نجاة المسيح قوله: «هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن، تتفرقون فيها، كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي، وأنا لست وحدي، لأن الآب معي، قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » يوحنا 32/16 – 33 فأين هذا من القول بصفع المسيح وصلبه وضربه ؟

ومن النصوص الدالة أيضاً على نجاة المسيح قول يوحنا: « من عند الله خرج، وإلى الله يمضي »

يوحنا 3/13 ولو كان المقصود الموت، فكل الناس إلى الله تمضي،

والقول بأن مضيه إنما يكون بعد الدفن ثلاثاً، يحتاج لدليل يثبت ذلك.

ومن النصوص الدالة أيضاً على نجاة المسيح ما جاء في متى « فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ؛ ولكن ستأتي أيام، حين يرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون » متى 15/9 ، ومقصده رفعه للسماء.

ولئن كان بولس قد تولى كبر القول بصلب المسيح، فإن الحق يراه المتبصر في فلتات لسانه، فيجد ما يدله على نجاة المسيح من الصلب.

ومن ذلك قوله في وصف ملكي صادق: « لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم، كاهن الله العلي،.. بلا أب، وبلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له، ولانهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله، هذا يبقى إلى الأبد » عبرانيين 1/7 –3 فيفهم من قوله بولس هذا: أن ليس للمسيح نهاية أرضية سابقة، كما هو الحال في ملكي صادق.

ومن ذلك أيضاً: أن في أقوال بولس ما يجعل حادثة الصلب قضية غير مسلم أنها حصلت للمسيح، ويُرى ذلك بالإمعان في هذه الأقوال، يقول بولس: «أما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً، شكاً لليهود، وجهالة للأمم » كورنثوس 1– 1/ 23 ، وقد قال قبلها: « فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين، فهي قوة الله » كورنثوس 1– 18/1 .

ومن أظهر أدلة نجاة المسيح ما قاله بولس عن المسيح: « في أيام بشريته قَرب تضرعات واستغاثات، وصراخ شديد، ودموع ذوارف للقادر، الذي بوسعه أن يخلصه من الموت، فاستجاب له من أجل تقواه » عبرانيين 7/5 .

فهذا النص، شهادة ناطقة، بأن الله استجاب للمسيح تضرعه في تلك

الليلة، وصرف عنه ما كان يحذره ويخافه من الصلب.

ولنا أن تساءل عن تضرع المسيح ودعائه وطلبه صرف الصلب عنه، هل كان المسيح بجهل أنه سيصلب، وإذا كان يعلم أنه سيصلب فما فائدة هذا الدعاء والتضرع؟ فقيام المسيح بالدعاء دليل على ثقته بأن الله سيستجيب له. ثم لا يليق أن يقال بأن الله رد المسيح خائباً بعد هذا التضرع والدعاء، فمثل هذا لا يحصل إلا مع عصاة العباد.

ومما يؤكد استجابة الله للمسيح: ظهور ملاك له ليقويه انظر لوقا 43/22 فهل كان ذلك الملاك يضحك عليه ؟ أم يعينه فينجيه.

و هذا هو ما يليق بعدل الله ورحمته، وأن الله استجاب للمسيح فأنجاه، وصلب يهوذا الخائن، فهذا أليق بعدل الله وكرمه من القول بعدم استجابته للمسيح، وصلبه.

فاستجابة الله للأنبياء والصالحين حال دعائهم أمر مشهود، فقد وعد رسله بالنجاة ؛ كما وعد دواد «لا أموت، بل أحيا، وأحدث بأعمال الرب.. إلى الموت لم يسلمني» مزمور 17/118 – 18 ، وفي رسالة يعقوب « صلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه...» طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها، كان إيليا إنسانا تحت الآلام، ومثلنا صلى صلاة أن لا تمطر، فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر، ثم صلى أيضاً فأعطت السماء مطراً، وأخرجت الأرض ثمرها « يعقوب 15/5 – 18

وقد استجاب الله عز وجل لإبراهيم لما أمره بذبح ابنه، فامتثل لأمر الله، فأنجى الله ابنه

واستجاب له طلبه.

ويؤكد العلامة ديدات على قرينة وحدة أفعال الله، لإبطال صلب المسيح والحكم بنجاته، فقد نجى الله ابني دانيال، وإبراهيم، والفتية الثلاثة الذين ألقوا في النار.

أما نجاة إبراهيم، فقد ذكرت في قوله تعالى " قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم * فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين " الأنبياء: **68 – 70** .

وأما دانيال، فقد ألقاه الملك في جُبَّ مع الأُسود، وختم الجب بخاتمه، ثم لما فتحه ناداه « **يا دانيال عبد الله الحي. هل إلهك الذي تعبده دائماً قدر على أن ينجيك من الأسود ؟ فتكلم دانيال مع الملك: يا أيها الملك، عش إلى الأبد، إلهي أرسل ملاكه، وسد أفواه الأسود، فلم تضرني، لأني وجدت بريئاً قدامه وقدامك أيضاً.. فأمر الملك، فأحضروا أولئك الرجال الذين اشتكوا على دانيال، وطرحوهم في جب الأسود هم وأولادهم، ولم يصلوا إلى أسفل الجب حتى بطشت بهم الأُسود، وسحقت كل عظامهم** « دانيال **15/6 – 24** .

وأما الفتية الثلاثة فقد أُلقوا في النار، ولكن » **لم تكن للنار قوة على أجسامهم، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق، وسراويلهم لم تتغير، ورائحة النار لم تأت عليهم** « دانيال **27/3** .

والعجب لإصرار النصارى على تكذيب المسيح وقد أخبر بنجاته، وقد أمكن الله له سبل النجاة المتنوعة، كما يسرها لكثيرين دونه في الفضل، منهم بطرس الذي دخل ملاك الرب إلى سجنه، وحطم سلاسله وهو نائم، وأمره بالخروج أعمال **7/12** .

وكذلك نجا بولس – في زعمهم – فقد تزلزلت الأرض، وتصدع السجن، وتحطمت القيود.

وانفتحت الأبواب، فهرب وصاحبه سِيلا من سجنهما. انظر أعمال 26/16 .
فِلمَ أمكن هذا لبطرس وبولس، ولم يمكن للمسيح وهو أولى منهما برعاية الله وحفظه ؟!
وهكذا ومن خلال هذه الأمثلة، نرى أن رعاية الله قد أحاطت بالمسيح، وأنجته من يدي أعدائه،
فتحقق ما كان قد تنبأ به بقوله: » **والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الأب وحدي، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه ^ يوحنا 9/8 ..**

ومما يؤكد ما ذهب إليه علماؤنا من نجاة المسيح وصلب غيره: ما جاء في إنجيل برنابا، وما وجد في مخطوطات نجع حمادي في مصر؛ حيث كشف بعد الحرب العالمية الثانية عن ثلاثة وخمسين نصاً، تقع في ألف ومائة وثلاثة وخمسين صفحة، ومن هذه النصوص ما تحدث عن نجاة المسيح، وأنه لم يصلب.

ولم يرد في هذه المخطوطات أيُّ ذِكْرٍ لمحاكمة المسيح وصلبه، بل جاء في إنجيل بطرس على لسان بطرس: «رأيته يبدو كأنهم يمسكون به، وقلت: ما هذا الذي أراه يا سيد ؟ هل هو أنت حقاً من يأخذون ؟.. أم أنهم يدقون قدميّ ويديّ شخص آخر ؟.. قال لي المخلص.. من يُدخلون المسامير في يديه وقدميه هو البديل، فهم يضعون الذي بقي في شبهة في العار ! انظر إليه، وانظر إليه » .

وفي مخطوطة أخرى من هذه المخطوطات وهي كتاب « سيت الأكبر » **جاء على لسان المسيح** «كان شخص آخر، هو الذي شرب المرارة والخل، لم أكن أنا...
كان آخر الذي حمل الصليب فوق كتفيه، كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه.

وكنت أنا مبتهجاً في العُلا.. أضحك لجهلهم » .

وفي مخطوطة « مقالة القيامة » : ما يدل على أن المسيح مات موتاً طبيعياً، وأن روحه المقدسة لا يمكن أن تموت.

أما إنجيل برنابا، فيذكر قصة مقاربة لتلك القصة الموجودة في الأناجيل، ومن التشابه فيها: أن المسيح دعا وتضرع في البستان، وكان معه تلاميذه الأحد عشر، وأن يهوذا جاء مع الجند ليدلهم على مكان المسيح، مقابل ثلاثين من الفضة، وأن التلاميذ كانوا نياماً، وأنهم هربوا لما استيقظوا ورأوا الجند.

وكذا يذكر برنابا أن المأخوذ – يهوذا – قد أخذ إلى رئيس الكهنة الذي سأله إن كان هو المسيح، وعرضه على الوالي الذي كان يريد إطلاق سراحه، لقناعته ببراءة المقبوض عليه.

لكن الجموع رفضت ذلك. وقد ذكر برنابا أيضاً تحويل بيلاطس – المقبوض عليه – إلى هيردوس، وسخرية هيردوس منه بعد أن كان يتمنى لقياه، وأنه ألبسه إكليلاً من الشوك، وثوباً من الأرجوان، ثم أخرج فصلب.

وثمة نقاط صغيرة كثيرة تتشابه فيها رواية برنابا والروايات الإنجيلية، لكن رواية برنابا تفترق في نقاط. أهمها:

– أن المقبوض عليه هو يهوذا، الذي ألقي عليه شبه المسيح.

- ويذكر أن المسيح أخرجته الملائكة سالماً، وصعدت به إلى السماء، وأنه عاد بعد ذلك واجتمع بتلاميذه، وأخبرهم بحقيقة ما حصل، وبأنه نجا، وأن الذي دفنوه وصلبوه وسرقوه هو يهوذا الإسخريوطي.

- كما يذكر برنابا أن الجسد المصلوب قد سرقه بعض التلاميذ من القبر، وأشاعوا قيامة المسيح من القبر، ثم يختم بذكر صعوده إلى السماء، بعد وداعه لتلاميذه ولأمه.

ومما ذكره برنابا في قصته: « فاعلم يا برنابا أنه لأجل هذا يجب عليّ التحفظ، وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة نقود، وعليه فأنا على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي، لأن الله يصعدني في الأرض، وسيغير منظر الخائن، حتى يظنه كل أحد إياي، ومع ذلك لما يموت شر ميتة؛ أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس، تزال عني هذه الوصمة، وسيفعل الله هذا لأني اعترفت بحقيقة مسيّا، الذي سيعطيني هذا الجزاء، أي أن أعرف أني حي، وأني بريء من وصمة تلك الميتة.

فأجاب من يكتب: يا معلم. قل لي من هو ذلك التعيس؟ لأني وددت لو أُميته خنقاً. أجابه يسوع: صه، فإن الله هكذا يريد، فهو لا يقدر أن يفعل غير ذلك، ولكني متى حلت هذه النازلة بأمي، فقل لها الحق، لكي تتعزى...

وخرج يسوع من البيت، ومال إلى البستان ليصلي، فجثا على ركبتيه مائة مرة معفراً وجهه كعادته في الصلاة ... ولما دنت الجنود مع يهوذا في المحل الذي كان فيه يسوع سُمع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه، ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد»

«ودخل يهوذا إلى الغرفة. دخل يهوذا مندفعاً أمام جميع من كانوا معه إلى الحجرة التي كان فيها

عيسى، ثم رفع منها إلى السماء بينما كان التلاميذ نياماً على أن الله العظيم القادر على كل شيء، تصرف تصرفاً عجيباً، فحول يهوذا إلى صورة عيسى وهيئته وصوته وأسلوب حديثه تماماً حتى اعتقدنا أنه عيسى، ولما استيقظنا من النوم كان يدور ليعرف مكان المعلم، أما نحن فعجبنا للأمر، فقلنا له: إنك أنت معلمنا ومولانا، هل نسيتنا ؟

فضحك يهوذا، وقال: إنكم لحمقىْ ألا تعرفونني؟ أنا يهوذا الأسخريوطي، وفي هذه اللحظة دخل الجنود، ووضعوا أيديهم على يهوذا فقد كان صورة طبق الأصل لعيسى.

ولما سمعنا نحن قول يهوذا ورأينا كتائب الجنود هربنا واختفينا، كان يوحنا يلتف بقماش من التيل، فاستيقظ وهرب، ولما أمسك أحد الجنود بقطعة القماش، تركها له، وفر هارباً عاري الجسد، إذ كان الله قد سمع دعوة عيسى، وبالفعل نجا التلاميذ الأحد عشر من كل شر» .

برنابا 1/214 – 13/216

ثم لما رجع يسوع من السماء لوداع أمه « وبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات، وقام قائلاً: أتحسبونني أنا والله كاذبين، لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم، كما قد قلت لكم، الحق أقول لكم: إني لم أمت، بل يهوذا الخائن. احذروا، لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم... وبعد أن انطلق يسوع تفرق التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة.

أما الحق المكروه في الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائماً فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشّروا بأن يسوع مات ولن يقوم، وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام، وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله، وقد خدع في عدادهم بولس.

أما نحن فإنما نبشر – بما كتبت – الذين يخافون الله، ليخلصوا في اليوم الأخير لدينوية الله»

برنابا 15/221 – 6/222

وهكذا نجد الأدلة الإنجيلية تتوالى، وهي تصرح بوضوح تام بنجاة المسيح من كيد أعدائه، فما على النصارى إلا الإذعان لهذه النصوص والقول بنجاة المسيح من الصلب.

وهكذا نرى الحقيقة بادية وضوح الشمس في رابعة النهار، نطقت بها النبوات نبياً بعد نبي في جلاء ووضوح عجيب.
ويتساءل المرء: لِمَ لَمْ يتوصل النصارى إلى هذه الحقيقة الجلية ؟
وفي الإجابة عن هذا السؤال يرى منصور حسين أن الطريقة الخاطئة والمغلوطة التي يفكر بها النصارى، هي التي حجبت شمس الحقيقة عنهم. وكمثال لطريقتهم في التفكير، ينقل عن الدكتور ر.أ. ترى في كتابه – كيف تدرس الكتاب المقدس .
فقد وضع الدكتور النصراني شروطاً ينبغي أن يتحلى بها قارئ الكتاب المقدس، ليحصل على أكبر قدر من الفائدة فمن هذه الشروط: أن يكون القارئ مولوداً ولادة ثانية – مسيحياً –، وأن يكون محباً للكتاب المقدس، وعنده استعداد للكد والجد في دراسته....
ويتوقف منصور حسين مع شرطين مهمين:
أولهما: أن يكون عند الدارس – إرادة مسلَّمة تسليماً كاملاً....
وثانيهما: أن ندرسه باعتباره كلمة الله
فيرى الأستاذ منصور حسين أن هذين الشرطين يفرضان على قارئ الكتاب المقدس التسليم والإيمان بأن ما يقرأه هو وحي الله، الذي لاشك فيه ولا لبس، مهما ظهر فيه من التناقض، والخطأ، والتعارض مع المعتقدات النصرانية.

فمثلاً: عندما يقرأ النصراني في المزمور قوله « أما أنا فدودة لا إنسان، عار عند البشر » المزمور 6/22 يجد أنه من غير المنطقي أن يكون هذا عن المسيح، لكنه يسلم لمشيئة مؤلفي العهد الجديد، فيقول بأنه نبوءة عن المسيح رغم استحالتها بحقه.

ويفعل الشيء نفسه، وهو يقرأ « الرب مخلص مسيحه » المزمور 6/20 وهكذا فهم يضعون النتائج أولاً، ثم يقرؤون الكتاب المقدس.

وهكذا، فإن المتأمل لهذين الشرطين :: ليكاد يقطع بأن واضعهما يعرف بيقين أن لو أطلقت للباحث حرية البحث عن الحقيقة وحدها، فإنه سينتهي من العهد القديم إلى ما يخالف ما جاء به العهد الجديد :: من حديث عن صلب المسيح :: فيصل إلى أن الله مخلص مسيحه، ورافعه إليه، وأن الذي سيقبض عليه ويحاكم ويصلب هو يهوذا .

1.38 الشك في شخص المصلوب

ذكرنا أن القرآن الكريم لم يكذب حصول حادثة الصلب، والذي ذكره القرآن يفهم منه حصول حادثة الصلب، لكن لغير المسيح عليه السلام، ولم يحدد القرآن شخص المصلوب، لكنه أفاد بوقوع شبه المسيح عليه، فصلب بدلاً عن المسيح عليه السلام.

وقد أخبر القرآن الكريم أن الذين يدعون صلب المسيح ليس لهم به علم يقيني، بل هم يشكون في شخص المصلوب على رغم شبهه

بالمسيح، لكنه يقيناً ليس بالمسيح عليه السلام. قال الله تعالى: « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً » النساء: 157 .

وهذا الذي ذكره القرآن تصدقه النصوص الإنجيلية التي ذكرت شك الجنود واليهود في شخص المصلوب، وقد وقعت يومذاك عدة صور للشك:

أولها: أن من جاءوا للقبض عليه أنكروا وجهه وصوته، ولم يعرفوه حيث خرج إليهم وقال: من تطلبون ؟ فأجابوه: يسوعَ الناصري، فأخبرهم بأنه هو، بيد أنهم لم يسارعوا للقبض عليه فأعاد عليهم السؤال، فأعادوا الجواب. انظر يوحنا 3/18 – 8

فهذا يدل على شكهم في شخصه، والسؤال المثير للاستغراب: كيف وقعوا بهذا الشك والمسيح قد عاش بين أظهرهم وهو أشهر من علم ؟

ثانيها: شك رئيس الكهنة في شخصية المأخوذ، وهو أمر جِد مستغرب، إذ المسيح كان يجلس في الهيكل، ويتحدث مع الكهنة ورؤسائهم، ورأوه وهو يقلب موائد الصيارفة في الهيكل انظر متى 12/21 – 15، 23 – 46 .

وقد قال لهم حين جاءوا لأخذه: « كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصيٍ لتأخذوني، كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل، ولم تمسكوني » متى 55/26 .

ويظهر الشك جلياً في قول رئيس الكهنة له أثناء المحاكمة: « أستحلفك

بالله الحي، أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله ؟ » **متى 62/26 – 64** .

ويجلي لوقا ذلك فيقول « ولما كان النهار، اجتمعت مشيخة الشعب، ورؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت المسيح فقل لنا فقال لهم: إن قلت لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله، فقال الجميع: أفأنت ابن الله ؟فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو » **لوقا 66/22 – 70** .

فنلاحظ أن الجميع كان منشغلاً بتحقيق شخص المأخوذ، حتى في محاكمته.

ونلحظ أيضاً أن إجابة المأخوذ كانت: « أنت قلت » **وقال لبيلاطس:** « أنت تقول » ، **بمعنى أنه لم يصدق كلامهم ولم يكذبه، لكنه قال لهم: هذا ما تقولونه أنتم.**

ثم ما هي الإجابة التي لن يصدقها رؤساء الكهنة ؟ ولو صدقوها لأطلقوه ؟ هي بلا شك: أنه ليس المسيح، بل يهوذا، وأما عيسى فقد أخبرهم يهوذا عن مكانه « جالساً عن يمين قوة الله » **أو كما قال متى:** « جالساً عن يمين القوة، وآتياً على سحاب السماء » **متى 64/26** .

وقد يسأل سائل: كيف عرف يهوذا مكان المسيح ؟ والجواب بسيط، لقد رأى يهوذا المسيح وهو ينجو ويصعد به إلى السماء، يوم أن أُلقي القبض عليه، بعد وقوع الجند.

وهنا قد يتساءل البعض لماذا شك الجند ورئيس الكهنة والكهنة في

شخصية المأخوذ؟

وفي الإجابة نقول: لقد كانوا يعهدون في المسيح معالم معنوية، في كلامه، وذكائه وشجاعته، وعلمه، بل وصوته، وهم اليوم لا يرون شيئاً من ذلك، وهو ما حصل مع هيردوس: « وأما هيردوس فلما رأي يسوع فرح جداً، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة، وترجى أن يرى آية تصنع منه، وسأله بكلام كثير، فلم يجبه بشيء ... فاحتقره هيرودس مع عسكره، واستهزأ به » لوقا 23/8 – 11 ، لقد رآه دون الرجل العظيم الذي كان يسمع عنه، بل لم يجد لديه أياً من معالم العظمة التي كان يسمع عنها.

وهذا الشك في المصلوب، هو ما تؤكده وثيقة إبراء اليهود من دم المسيح والصادرة عن الفاتيكان 1965 م فقد جاء فيها إن صحت النسبة إليها: « اليهود لم يصلبوا السيد المسيح إطلاقاً، وإنما صلبوا شخصاً لم يعرفوه، ولو عرفوا أنه المسيح: لم يفعلوا ذلك... أقرب الناس إلى المسيح لم يعرفه، فكيف يعرفه اليهود؟ »

.

و في ذلك كله تصديق لما أخبر عنه القرآن الكريم، قبل قرون طويلة من الشك في شخصية المصلوب. فقد قال الله تعالى موضحاً حالهم مع المصلوب وحيرتهم في شخصه: « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً » النساء: 157 .

كما تتحدث النصوص الإنجيلية عن بعض ما أوتيه المسيح عليه السلام من تأييد الله له، وهذه الأعاجيب التي أوتيها تجعل نجاته – في تلك الليلة في بستان جثماني – ممكنة، وذلك لما منحه الله من قدرات مكنته مراراً من الإفلات من كيد اليهود، وهي ما تجعل نجاته يوم جاءوا للقبض عليه أمراً متوقعاً غير مستنكر ولا مستغرب، بل الزعم بتمكن اليهود وجند الرومان منه يثير سؤالاً كبيراً: أين اختفت هذه القدرات وهذه المعونة الإلهية له؟ هل أسلمه الله بعد طول حمايته وتأييده له، فتخلى عنه في أصعب الأيام وأضيقها.

فالمسيح – حسب ما ذكرت الأناجيل – قد أعطاه الله عز وجل قدرة على النجاة، والهروب من بين يدي أعدائه، فقد اختفى منهم أكثر من مرة لمّا أرادوا به شراً، فمن الطبيعي والمنطقي أن يهرب منهم يوم جاءوا للقبض عليه، وأمثلة هذه القدرة الباهرة كثيرة منها: قول لوقا: «فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا، فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كان مدينتهم مبنية عليه، حتى يطرحوه إلى أسفل، أما هو فجاز في وسطهم، وانحدر إلى كفر ناحوم» **لوقا 28/4 – 31 .**

ولما كان في الهيكل، وكثر الجدال بينه وبين اليهود، هموا بقتله « فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى » **يوحنا 59/8 .**

وفي مرة أخرى جادلهم « فطلبوا أن يمسكوه، ولم يلق أحدٌ يداً عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد، فآمن به كثيرون في الجمع، وقالوا: ألعل المسيح متى جاء يعمل أكثر من هذه التي عملها هذا » يوحنا 30/7 – 31 وقولُ إنجيل يوحنا: « لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد » قولٌ لا يلزمنا فإنه يؤمن بصلب المسيح، ويحاول أن يبرر اختفاء هذه الخاصية عند القبض على المسيح.

وفي يوم العيد حصل مثله « فحدث انشقاق في الجمع لسببه، وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه، ولكن لم يُلق أحد عليه الأيادي » يوحنا 43/7 – 44 .

ولما تمشّى في رواق سليمان، وأسمعهم دعوته « فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم، ومضى أيضاً إلى عبر الأردن » يوحنا 39/10 – 40 .

ولما كان في الخزانة في الهيكل، حاولوا إمساكه « ولم يمسكه أحد، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد » يوحنا 20/8 .

ويبقى السؤال أين اختفت هذه الخاصية للمسيح يوم المؤامرة العظمى؟ فلئن استعملها في الهرب من عامة اليهود، فاستعمالها في الهرب من الجند أَوْلَى.

في هذه النصوص تصديق لما أخبر الله عز وجل عنه في شأن المسيح، حيث قال وهو يعدد نعمه على المسيح: « وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين » المائدة: 110 لقد رأوا ساحراً يسبب ما أمده الله من المعجزات الباهرة التي أعيتهم.

ومما تذكره الأناجيل من قدرات المسيح التي أمده الله بها قدرته على

اختراق الحجب، يقول يوحنا: « ولما كان عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع، ووقف في الوسط، وقال لهم: سلام لكم » **يوحنا 19/20 ، وفي لوقا لم يذكر إغلاق الأبواب، وإن ذكر ما يشعر بوجود أعجوبة** « وفيما هم يتكلمون بهذا، وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلام لكم، فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً » **لوقا 36/24 – 37 .**

كما ثمة أعجوبة أخرى، تجعل نجاة المسيح وخلاصه من أيدي كائديه ممكناً، ألا وهي ما تذكره الأناجيل من قدرة المسيح على تغيير هيئته وشكله، حتى يعجز المقربون منه عن معرفته، وقد صنع ذلك مراراً.

فقد خفي بعد القيامة على تلاميذه مرات عديدة، فخفي على مريم المجدلية التي هي من أقرب الناس إليه، وظنته البستاني، ولم تعرفه إلا بعد برهة. انظر يوحنا 14/20 – 15 .

وكذلك خفي على التلميذين المنطلقين لعمواس، ولم يعرفاه إلا بعد أن بارك لهما طعامهما. انظر لوقا 13/24 – 19 .

وخفي أيضاً على التلاميذ مجتمعين، وهم يصيدون في بحيرة طبريا، وكان أول من عرفه بعد وقت طويل يوحنا. انظر يوحنا 1/21 – 7 .

كما تقرر الأناجيل تغير شكله في أحداث قبل الصلب، ومن ذلك: ما ذكره لوقا « وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة، ولباسه مبيضاً لامعاً، وإذا رجلان يتكلمان معه، وهما موسى وإيلياء » **لوقا 29/9 .**

ويذكر متى أنه أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا « وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين، وتغيرت هيئته قدامهم » متى 1/17 – 2 .

فلئن صح أن المسيح يقدر على تغيير شكله حتى يخفى أمره على الخلص من تلاميذه، فهو دليل على قدرته على الخلاص والنجاة من أيدي أعدائه، وهذا لا ريب يلجأ إليه في الشدائد، والمؤامرة الأخيرة عليه من أشدها.

وقد رأينا مما سبق اتفاق القرآن مع النصوص التوراتية والإنجيلية، التي تقول وتتنبأ بنجاة المسيح، ورفعة إلى السماء، ورأينا كيف أن هذا الأمر ممكن، وليس غريباً على قدرة الله العظيم.

كما أن توراة القوم وإنجيلهم، يتحدث عن معونة الله لعدد من القديسين رفعوا إلى السماء، منهم: أخنوخ « وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه » التكوين 24/5 . ومثله إيليا «وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار، وخيل من نار ففصلت بينهما، فصعد إيليا من العاصفة إلى السماء » ملوك 2 – 11/2 .

1.40 بولس واختلاق قصة صلب المسيح

ويبقى السؤال موجهاً للمسلمين المنكرين لصلب المسيح من أين وردت على النصارى مقالة صلب المسيح؛ وهل خفي عليهم حقيقة المصلوب؟ أم خفي عليهم وقت الصلب، ثم كُشف لهم بعد ذلك لكنهم استمرؤوا الباطل ؟

وفي الإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن الأناجيل الأربعة مخطوطات قديمة، كتبها أشخاص في أوقات مختلفة، حسب ما تناهى إلى مسامعهم من الروايات الشفهية المتناقلة، وهم لم يّدعوا لها الإلهام ولا القدسية، فكتب كلٌّ حسب ما سمع، مناقضاً الآخرين، أو موافقاً لهم.

ونجاة المسيح ورفعه أمر خفِي على الكثيرين من معاصري المسيح، فظنوا أن المصلوب هو المسيح، إذ لم يشاهد معجزة رفع المسيح إلا يهوذا الخائن، عندما أخذوه في لحظة التسليم، وقد شبه عليهم وهم في شك منه كما تبين لنا قبلُ.

ويرى المحققون أن فكرة صلب المسيح هي بعض مبتدعات بولس، الذي وجد في قصة الصلب القلب النابض للمسيحية الجديدة التي أنشأها، والتي يؤكد عليها بولس في رسائله ومنها قوله: «لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » كورنثوس 1 – 2/2 .

وقد امتلأت رسائله بالتأكيد على صلب المسيح، مما حدا بأرنست دي بوش الألماني للقول في كتابه: الإسلام: أي المسيحية الحقة – إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومَن شابهه، من الذين لم يروا المسيح، وليست من أصول النصرانية الحقة .

وقد استغل بولس الاضطراب الذي حصل في حقيقة ما جرى للمسيح،

بين قائل بأنه صلب، أو أن المصلوب غيره، أو سوى ذلك مما أشيع في تلك الأيام.. ووظفه، وجعله قاعدة لضلالته المسماة «الفداء» .

ونعود لبولس لنتساءل عن موقف النصارى الأوائل من دعواه صلب المسيح، التي كتبها الإنجيليون بعد وفاته.

وبالتأمل في رسائل بولس التي أكدت صلب المسيح وأهمية هذا الحدث كمعتقد، نجد في طياتها موقف الحواريين والأتباع الأوائل الرافض لبدع بولس ومن ضمنها ولا ريب عقيدة الصلب.

فيرى أحمد عبد الوهاب هذا الموقف في قول بولس وشكواه في رسالته لتيموثاوس « أنت تعلم هذا، أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني » تيموثاوس 2 – 15/1 .

وفي رسالته لأهل غلاطية يشكو من أولئك الذين كذبوه « إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح، إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح، ولكن إنْ بشَّرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشّرناكم فليكن أناثيما » غلاطية 6/1 – 8 .

ويقول بولس: « ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات ؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم » كورنثوس 1 – 13/15 ، فالنص يتحدث عن إنكار بعض التلاميذ لصلب المسيح أو على الأقل لقيامته من الأموات.

ويرى المحققون أن الحواريين ما كانوا يعرفون شيئاً عن صلب المسيح، بدليل خلو رسائلهم الموجودة في العهد الجديد من الحديث عن المسيح المصلوب.

يقول المؤرخ فوتيوس: إنه قرأ كتاباً يسمى – رحلة الرسل– في أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس، ومما قرأ فيه – إن المسيح لم يصلب، ولكن صلب غيره، وقد ضحك بذلك من صالبيه .

وتظهر المعارضة الصريحة لدعوى بولس صلب المسيح من الحواري – برنابا – في إنجيله الذي تتنكر له الكنيسة، وقد ذكر في مقدمته سبب تأليفه لهذا الإنجيل فيقول: « الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق، الذي رأيتهُ وسمعتهُ أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه، فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه، لتخلُصوا خلاصاً أبدياً » برنابا مقدمة /7 – 9 .

وكانت الفرق المسيحية المنكرة للصلب صدى لإنكار الحواريين على بولس كما قد سبق تفصيله.

كما تكشف لنا الكشوف الأثرية عن إنجيل اكتُشف حديثاً في نجع حمادي منسوباً للحواري المقرب بطرس، ينكر فيه صلب المسيح، ويقول برفعه قبل إجراء الصلب.

ويعترف النصارى من مفسري الأناجيل بحدة الخلاف لبولس وتلاميذه، في مسألة صلب المسيح، وأن هذا الخلاف دعا الإنجيليين إلى التأكيد

على أن المسيح قد صلب كما قال بولس الذي سبقت رسائله الأناجيل الأربعة في تاريخ كتابته.

فنقل أصحاب الأناجيل فيما بين سطور الأناجيل الإنكار على بولس وتكذيب صلب المسيح، يقول مرقس: « ثم خرجوا به ليصلبوه، فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل، هو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه » مرقس 20/15 – 23 .

يقول المفسر نينهام في تفسيره لمرقس: – يبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة؛ التي تقول بأن سمعان قد حمل الصليب، وما من شك في أن أحد الأسباب في الحفاظ على هذه التفاصيل الشخصية في الإنجيل؛ كان الغرض منه تذكير القراء بأن لديهم مصدراً للمعلومات عن الصلب، جديرًا بالثقة.. ولعل السبب في حذف هذه الرواية والخاصة بحمل سمعان القيرواني للصليب – من إنجيل يوحنا، هو الادعاء: بأن سمعان قد حل محل يسوع، وصُلب بدلاً منه، ولا يزال سارياً في الدوائر الغنوسطية، التي كانت لها الشهرة فيما بعد .

وهكذا نفهم سبب مخالفة يوحنا للأناجيل الثلاثة في مسألة – من حمل الصليب : فيقرر أنه المسيح، حمل صليبه بنفسه فيقول: « فأخذوا يسوع، ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة.. حيث صلبوه » يوحنا 16/19 – 18 .

وينبه فنتون شارح إنجيل متى إلى مثل هذا الفعل من متى، عندما عدَّل

ألفاظ مرقس وهو ينقل عنه في أحداث اللحظة التي بعد اقتسام الثياب والاقتراع عليها، حيث يقول مرقس: « وكانت الساعة الثالثة فصلبوه » مرقس 25/15 لكن متى يغير، فيقول بعدها:. « ثم جلسوا يحرسونه هناك » متى 36/27 ، فتكلم متى عن حراسة يسوع أثناء الصلب وبعده. ويرى فنتون أن ذلك : إنما يرجع إلي وجود أناس قالوا بأن يسوع قد أنزل من على الصليب، قبل أن يموت. كذلك فإن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صُلب بدلاً من يسوع. فلعل متّى كان يرد على هذه الأقوال .

1.41 قصة الصلب عند الأمم الوثنية

وبولس عندما ادعى صلب المسيح فداء للخطيئة لم يكن يتحدث من تأليفه وإبداعه، فإنه إنما يكرر عقيدة قديمة، تناقلتها الوثنيات قبل المسيح بزمن طويل، وقد نسج الإنجيليون أحداث صلب المسيح، على نحو ما قرره بولس، وعلى صورة ما ورد عن الأمم الوثنية القديمة، حتى أضحت قصة الصلب في الأناجيل قصة منحولة من عقائد الأمم الوثنية، ولعل أوضحها شبهاً بقصة المسيح أسطورة إله بابل – بعل : فقد كشفت لوحتان أثريتان تعودان للقرن التاسع قبل الميلاد عن قصة تشابه تماماً ما قاله النصارى في صلب المسيح ومحاكمته، ونقل – فندلاي : وغيرِه المقارنة بين ما قيل عن بعل قبل المسيحية وما قيل عن المسيح في

المسيحية.ويوضح ذلك الجدول التالي:

محاكمة بعل

محاكمة عيسى عليه السلام

1 – أخذ بعل أسيراً.

2 – حوكم بعل علناً.

3 – جرح بعل بعد المحاكمة.

4 – اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل.

5 – كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت. وقد طلب الشعب إعدام بعل، والعفو عن المذنب الآخر.

6 – بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد، واضطرب الناس.

7 – حُرس بعل في قبره حتى لايسرق أتباعه جثمانه

8 – الأمهات جلست حول مقبرة بعل يبكينه.

9 – قام بعل من الموت وعاد للحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء.

1 – أخذ عيسى أسيراً.

2 – وكذلك حوكم عيسى.

3 – اعتُدي على عيسى بعد المحاكمة.

4 – اقتيد عيسى لصلبه على الجبل.

5 – وكان مع عيسى قاتل اسمه: – باراباس: محكوم عليه بالإعدام، ورَشح بيلاطس عيسى ليعفو عنه كالعادة كل عام. ولكن اليهود طلبوا العفو عن – باراباس: وإعدام عيسى.

6 – عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء.

7 – وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حواريوه جثمانه.

8 – مريم المجدلية، ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.

9 – قام عيسى من مقبرته في يوم أحد، وفي مطلع الربيع أيضاً، وصعد إلى السماء.

وقد انتقلت هذه الأسطورة البابلية، عن طريق الأسرى اليهود الذين عادوا من بابل.

وتتشابه كثير من تفاصيل قصة الصلب مع تفاصيل واردة في قصص وثينة مشابهة. فقد ذكر متى أحداثاً غريبة عدة، صاحبت موت المسيح حيث يقول: « وفي الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض، إلى الساعة التاسعة... وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت... » متى 45/27 – 53 .

وهذا نقله النصارى من الوثنيات القديمة، فقد نقل العلامة التنير عن عدد من المؤرخين إجماعهم على انتشار هذه الغرائب حال موت المخلصين لهذه الأمم. من ذلك: أن الهنود يقولون – لما مات كرشنا مخلصهم

على الصليب، حدثت في الكون مصائب جمة، وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عند منتصف النهار، وأمطرت السماء ناراً ورماداً.....

ويقول عباد بروسيوس – إنه لما صلب على جبل قوقاس، اهتزت الكائنات، وزلزلت الأرض .

والاعتقاد بحدوث أحداث سماوية عظيمة عند موت أحد العظماء أو ولادته، معروف عند الرومان واليونان.

كما ينقل المؤرخ – كنون فرار – في كتابه – حياة المسيح – وينقل جيبون في تاريخه أن عدداً من الشعراء والمؤرخين الوثنيين كان يقول : لما قتل المخلص اسكولا بيوس، أظلمت الشمس، واختبأت الطيور في أوكارها... لأن شافي أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا .

والقول بظلمة الشمس عند موت أحد المخلصين قيل عند مقتل هيركلوس وبيوس وكوتز لكوتل وكيبير ينوس إله الرومان، وعليه، فهو أسطورة قديمة تداولتها الأمم، ونقلها أصحاب الأناجيل من تلك الوثنيات.

وقد كان عباد الشمس يقدمون الضحايا لها، خاصة عند حلول الكسوف، فإذا زال الكسوف اعتقدوا أنه بسبب فداء أحد زعمائهم، حيث خلصهم وحمل عنهم العذاب، ومنه أخذ متى قوله: « ومن الساعة السادسة، كانت ظلمة

على الأرض إلى الساعة التاسعة » متى 45/27 .

ومن أوجه الشبه بين الوثنيات القديمة والنصرانية القول بقيامة الآلهة من الأموات، فقد أجمعت الأناجيل على قيامة عيسى من الموت، ولكن هذا قد سبقهم إليه الهنود، حيث قالوا في كرشنا: هوذا كرشنا صاعد إلى وطنه في السماوات .

وكذا يقول عُبّاد بوذا بأنه حزن عليه بعد موته أهل السماوات والأرض – حتى إن مهاويو – الإله العظيم – حزن ونادى: قم أيها المحب المقدس، فقام كام – أي بوذا – حياً، وبُدلت الأحزان والأتراح بالأفراح، وهاجت السماء، ونادت فرِحة: عاد الإله الذي ظُن أنه مات وفُقد... ، ومثله يعتقده الصينيون في إلههم – لأوكيون– ، والمجوس في – زورستر.

ويقول عابدو – سكولا بيوس – في القصيدة التي حكت عن حياته: أيها الطفل القادر على شفاء الأمم في السنين القادمة حينما يهب مَن في القبور.... وأنت من المسكن المظلم ستقوم ظافراً وتصير إلهاً .

وعن تموز يقول البابليون: ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم، واتكلوا على ربكم الذي قام من الأموات .

ومثل هذا الاعتقاد، سرى في كثير من الوثنيات قبل المسيحية فقد قيل بقيام أوزوريس، وحورس، ومتراس وباخوس، وهرقل، وكوتز لكوتل، ويلدور، وغيرهم، فكل هؤلاء قال عُبّادهم بقيامتهم من الموت.

ولعل أهم هؤلاء أوزوريس معبود المصريين القريب من مهد المسيحية، وقد انتشرت أسطورته في القرن الثالث قبل الميلاد. ويقول المؤرخ مهامي: إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله .

صدق فيهم قول الله عز وجل « ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » التوبة: 30 .

1.42 كيفية نجاة المسيح من المؤامرة

وإذا كانت الأدلة قد شهدت للمسيح بالنجاة، وأن مؤامرة الأشرار لن تلحق به الأذى، فنجا المسيح من الموت على الصليب الذي أراده له أعداؤه.

فإن هناك سؤالاً يطرح نفسه: كيف نجا المسيح ؟

وكما أسلفنا فإن القرآن والسنة لا يذكران كيفية نجاة المسيح، وكل ما ذكره القرآن أن الله شبه عليهم غير المسيح، فأخذوه وهم ليس لهم به علم يقيني.

لذا نعود إلى قصة الأناجيل وهي تتحدث عن الصلب المزعوم، لنرى كيف نجا المسيح ؛ ولابد لنا هنا من قراءة ما بين السطور الإنجيلية، لتلمس الحقيقة التي يصرح الإنجيليون بخلافها.

وبداية نذكر أنه لا يرى المسلمون أي ضير في القول بالكثير من

التفصيلات التي أوردتها الأناجيل، وإن كنا نشك في حصول بعضها، لكن نقبلها تنزلاً مع محاورينا من النصارى، ومنها:

1- أن المسيح خرج إلى البستان برفقة تلاميذه، وأنه أخبرهم بأنه سيتعرض لمؤامرة من أحد التلاميذ مع اليهود الذين يريدون صلبه.

2- أن المسيح دعا في تلك الليلة طويلاً، وبإلحاح كبير طالباً من الله أن يصرف عنه كأس الموت.

3- أن المسيح استسلم لقضاء الله وقدره، فقال: « ليس كما أريد أنه بل كما تريد أنت » متى 39/26 وقال: « فلتكن مشيئتك متى 41/26 .

4- المسيح يصلي، والتلاميذ نيام، ويحاول إيقاظهم مرة بعد مرة.

5- وصل يهوذا الأسخريوطي الخائن، ومعه الجند، يحملون مشاعل وسيوفاً وعصياً، للقبض على المسيح، وقد جعل يهوذا علامة للجند أن يقبل المسيح.

6- وصلت الجموع؛ فخرج إليهم المسيح، وقال: من تطلبون ؟ فأجابوه: يسوع الناصري. فقال المسيح » أنا هو : فلما قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض « يوحنا 6/18 .

7- حاول بطرس الدفاع، لكنه كان أعجز من ذلك، فهرب وجميع التلاميذ.

8- اقتيد المأخوذ – وهو غير المسيح – للمحاكمة عند رئيس الكهنة، ثم بيلاطس، وبطرس يتابعه في بعض ذلك، وقد أنكره تلك الليلة ثلاث مرات.

9- في المحاكمة سأل رئيس الكهنة، واستحلف المأخوذ إن كان هو المسيح، فأجابه: » أنت قلت، وأيضاً أقول لكم: من الآن، تبصرون ابن الإنسان جالساً يمين القوة، وآتياً على سحاب السماء « متى 64/26 .

10- حكمت المحكمة على المأخوذ بالقتل، واقتيد إلى بلاط بيلاطس الذي سأله: إن كان هو ملك اليهود، فأجابه: » **أنت تقول** « ثم لم يجبه بكلمة واحدة، حتى تعجب بيلاطس منه.

11- لم يجد الوالي للمأخوذ علة يستحق عليها القتل، فأراد أن يطلقه، لكن الجموع أصرت على صلبه، وإطلاق باراباس، فأعلن براءته من دم هذا البار، وأسلمه لهم.

12- اقتيد المأخوذ إلى موضع الصلب، وصلب بجوار لصين.

13- صرخ على الصليب، فسقوه خلاً، ثم أسلم الروح.

ويفترق المسلمون عن الأناجيل في مسألة مهمة، وهي من هو المأخوذ من ساحة القبض على المسيح؟ فيراه المسلمون يهوذا الأسخريوطي، التلميذ الخائن، ويلزمنا إقامة الدليل على ذلك، إذ هي موضع النزاع، وقد كنا قد أقمنا الأدلة على ذلك من سفر المزامير.

ولتصور القول بأن يهوذا هو المأخوذ، وأنه حصل التباس عند آخذيه، فإنا نتصور الجموع الكثيرة والتي تقارب الألف وهي تسير، تحمل المشاعل والسيوف والعصي، وتتكون من جنود وغوغاء يتقدمهم يهوذا.

ولما وصل الجمع إلى المسيح كان التلاميذ نياماً، وقد حاول المسيح إيقاظهم مراراً فلم يستطع، برغم أن الموقف كان صعباً، فقد كانت عيونهم ثقيلة، واقتربت الجموع من المسيح يتقدمهم يهوذا، والتلاميذ نيام » **فلما قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض** « يوحنا **6/18** .

وهنا نتوقف ملياً، لنقرأ ما غفلت عن ذكره السطور.

فما فائدة سقوطهم على الأرض ؟ وما الذي أسقطهم ؟ وماذا أفاد المسيحَ سقوطهم، إذا كانوا سيقبضون عليه بعدها ؛ وَلِمَ لَمْ يتكرر السقوط عندما أرادوا أخذه بعدها ؟

ولنحاول أكثر أن نتصور ما حدث في تلك اللحظة، فقد اقترب يهوذا لتقبيل المسيح كعلامة للجند على أنه المطلوب، وفي تلك اللحظة اقترب الجند. حملة المشاعل والسيوف. للقبض على المسيح، فتدخلت قدرة الله العظيم –كما ذكر يوحنا–، فسقطوا على الأرض، بعد أن رجعوا للوراء. ولك أن تتخيل ما حصل، من هرج، وتدافع، من جراء سقوط مقدمة هذه الجموع

التي تحمل المشاعل، والتي هي فقط تنير لها ظلمة الليل البهيم.
بعد ذلك الاضطراب والفوضى قام الساقطون من الأرض وأفاقوا من ذهولهم لما حصل لهم، ورأوا يهوذا وحده مبهوتاً أصابه الذهول، وقد رأى المسيح يرفع للسماء، وقد ألقى الله عليه الكثير من شبه المسيح، ولكن من سيتوقع أن هذا المذهول هو يهوذا، ومن الذي يعرفه وقتذاك؟
فكانت لحظةُ وقوع الجند: لحظة الخلاص كما وصفتها المزامير » **الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه .... هم جثوا وسقطوا، أما نحن فقمنا وانتصبنا** « مزمور **8/20** .

وفي مزمور آخر: » **أما أنت فتبارك، قاموا وخزوا** « مزمور **28/109** .

وفي مزمور آخر تسجل تلك اللحظة الخالدة: » **حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء** « مزمور **9/56** و » **ليرتد إلى خلف، ويخجل المشتهون لي شراً** « مزمور **2/70** .
» **عندما اقترب إلي الأشرار ليأكلوا لحمي، ومضايقي وأعدائي عثروا وسقطواً** « مزمور **2/27** وغيرها.
بعدها حُمل يهوذا إلى المحاكمة وإلى ديوان بيلاطس، والشك في حقيقة شخصه يلاحقه في كل هذه الخطوات، فقد شك فيه رئيس الكهنة، وكانت إجاباته لبيلاطس وهيرودس تنبئ عن الذهول الذي أصابه، وعن عجزه عن بيان الحقيقة، التي لن يقنع أحداً إن ذكرها، فكان يجيبهم: » **أنت تقول** « متى **11/27** .

ولما اجتمع في النهار مشيخة الشعب، ورؤساء الكهنة، » **وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح، فقل لنا. فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني. منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله. فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال**

لهم: أنتم تقولون: إني أنا هو «. يوحنا **66/22 – 70** .

ولا يفسر هذه الإجابات الغريبة، بل وتلك الأسئلة الغريبة من أناس كانوا يرون المسيح في كل يوم، لا يفسره إلا أن نقول بأن المأخوذ هو غير المسيح، وإن أشبهه، وهذا الشبه حير رؤساء الكهنة في حقيقة المأخوذ فحاولوا استجلاء الحقيقة بسؤال المأخوذ، فلم ينكر ولم يثبت.

وأما يهوذا فقد عرف أن لا فائدة من إنكاره، إذ لن يصدقه أحد، ولربما ولفرط ندمه قد استسلم لرداه، ورضي بعقوبة الله له، أن يصلب عن المسيح، لعله بذلك أن يفديه، لذلك تكرر سكوته.

وهذا الموقف ليس بعيداً عمن ذكرت الأناجيل أنه لفرط ندمه خنق نفسه، وانتحر.

لقد تحققت فيه نبوءات المزامير » **وإذا حوكم فليخرج مذنباً... ووظيفته ليأخذها آخر** « المزمور **6/109 – 8** ، لقد أتى ليخطف المسيح، فلم يستطع.. » **حينئذ رددت الذي لم أخطفه** « المزمور **4/69** .

وقد يشكل هنا أن متى ذكر أن يهوذا مات مخنوقاً انظر متى **2/27 – 5** ، ويكفي في دفعه أن نتذكر ما ذكره سفر أعمال الرسل عن موته حين سقوطه وخروج أحشائه. انظر أعمال **16/1 – 20** ، وسبب وقوع الإنجيليين في هذا التناقض اختفاء يهوذا، فاخترع كل من متى ولوقا نهاية ليهوذا تليق بجريمته، فهذا التناقض بين الروايتين الإنجيليتين، مشعر بوجود نهاية حقيقية، خفيت على الكاتبين ودفعتهما لاختلاق روايتيهما.

والقول بصلب يهوذا بدلاً عن المسيح قول قديم: فكما ذكره برنابا في إنجيله، ذكرته فرق مسيحية قديمة قبل الإسلام، منها: السيرنثيون والكربوكرانيون.

وقد يعترض معترض بذكر بعض الأحداث التي حصلت بعد وقوع الجموع، فقد ذكر الإنجيليون أن بطرس حمل السيف، وضرب أذن العبد فأمره المسيح برد السيف، لأن من ضرب بالسيف يؤخذ به، فهرب بطرس والتلاميذ انظر يوحنا **10/18 – 19** وهذه القصة يجعلها يوحنا بعد حادثة تراجع الجند، ووقوعهم على الأرض.

ومثله ذكر يوحنا أيضاً بعد سقطتهم، أن المسيح سألهم: » **من تريدون ؟ فقالوا: يسوع الناصري. أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو ... ثم إن الجند**

والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع، وأوثقوه « يوحنا 7/18 – 12 .

كما قد يعترض معترض بذكر ما انفرد به يوحنا، وهو حضور أم المسيح إلى ساحة الصلب، فيقول: لا يصح أن يخفى عليها حقيقة المصلوب، وأن ليس ابنها.

لكن أمثال هذه النصوص التي لن يستطيع أحد أن يثبت عصمتها لتناقضها الذي بيناه، ولا تنهض في الرد على نبوءات المزامير والأناجيل، وإلحاقها بتناقضات الأناجيل وأخطائها أَوْلَى.

ولعلنا نتذكر أن القبض على يهوذا كان ليلاً، فيكتنفه ما يكتنف الظلام من ستر، وخفاؤه فيما بعد ذلك، بسبب ظروف محاكمته وصلبه، وقد رأينا منهم شكاً في شخصية المأخوذ، فدل ذلك كله على أن في شخصية المأخوذ ما أشكل عليهم، وهو ولا ريب يشكل على من رآه مصلوباً عرياناً. ثم يراه قد ألبس في محاكمة بيلاطس وهيرودس ملابس غريبة فتغير شكله، ثم لما صلب كان عرياناً، وصلب في بستان معزول، ولم يمكث على الصليب فترة طويلة....

يقول برنابا، وقد كشف له المسيح عن الحقيقة بعد هلاك يهوذا: » **يا معلم: إذا كان الله رحيماً، فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً؟ ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت.. أجاب يسوع: ... فلمّا كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا، معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب، لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله ^ برنابا 220/ 14–20 .**

وقد كان، فأخبر محمد صلى الله عليه وسلم بالحقيقة التي غابت عن النصارى طويلاً، وصدق الله وهو يقول « وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول اللّه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإنّ الّذين إختلفوا فيه لفي شكّ مّنه ما لهم به من

علمٍ إلاّ إتّباع الظّنّ وما قتلوه يقيناً * بل رّفعه اللّه إليه وكان اللّه عزيزاً حكيماً » **النساء: 157–158 .**

وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح 1.43

في مؤتمر الفاتيكان الثاني المنعقد عام 1963م: انعقد المجمع لبحث موضوعات عديدة، تدور حول تقوية الوحدة المسيحية.
وفي الدورة الثانية منه: قدّم الألماني – الكاردينال بيا – وثيقة تعتبر الصورة التمهيدية للوثيقة التي صدرت فيما بعد، وتبرئ اليهود من دم المسيح.
وتنادي الوثيقة التمهيدية: باعتبار الشعب اليهودي جزءًا من الأمل المسيحي، وأنه لا يجوز أن ننسب إلى يهودِ عصرِنا ما ارتُكب من أعمال أيام المسيح، واحتج الكاردينال لكلامه بأن كثيرين من الشعب لم يكونوا يعرفون شيئاً عما حدث، ولم يوافق بعض قادة الشعب على فعل سائر الكهنة.
وقد عورضت الوثيقة داخل المجمع، لما فيها من اعتبارات سياسية، وطلب المطران الهندي –كوتنهو – حذفَها، وإضافة فصول عن الديانة الهندية والإسلامية، وكذلك عارض الوثيقةَ بعضُ كرادلة الشرق، كما عارضها الشبابُ الكاثوليك بالقدس، وأوضحوا أن ذلك ليس حقاً للمجمع ولاغيره، وطالبوا بتطبيق ما جاء في سِفر الخروج: « أنا الرب إلهك،

إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء » **الخروج 15/20** .

واستشهد القس إبراهيم سعيد – رئيس طائفة الأقباط الإنجيليين – بنصوص الإنجيل، التي تقرر أن اليهود طلبوا صلبه، ورفضوا إطلاق المسيح، وطلبوا إطلاق باراباس، وتولى رئيس الكهنة – قيافا – بعض الوِزر في ذلك. ثم إنهم قالوا: « دمه علينا وعلى أولادنا » **متى 25/27** .

وقد قال بطرس لثلاثة آلاف من اليهود: « يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم » **أعمال 36/2.**

وتم تشكيل لجنة لتعديل الوثيقة، وعّدلت، وصدرت في أكتوبر 1965م وثيقة تبرئة اليهود. ومما تضمنته هذه الوثيقة « فإن ما ارتكب أثناء آلامه: لا يمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا عائشين إذ ذاك، ولا إلى يهود أيامنا » .

ويقول الكاردينال – بيا – عن هذه الوثيقة: « ليست هذه الوثيقة ثمرة يوم أو ليلة، إنها خلاصة دراسة » ، **وقد وقع البابا يوحنا الثالث والعشرون عليها قبل وفاته بخمسة أشهر، لتصبح وثيقة دينية معتبرة، ومعتمدة من أهم المراجع النصرانية.**

وقد أراد – بيا من وثيقته التمهيدية تبرئة العنصر اليهودي من صلب المسيح.

ولكن الوثيقة النهائية الرسمية أقرت بدور اليهود وبراءة الرومان وبرأت الأجيال اليهودية اللاحقة من تولي وزر هذه الجريمة، كما أنها حاولت

حصر الجريمة في أقل عدد ممكن من الكهنة ورؤساء الشعب اليهودي، « فإن ما ارتكب أثناء آلامه، لا يمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا عائشين إذ ذاك، ولا إلى يهود أيامنا » .

وتعود الوثيقة للحديث عن آلام المسيح المصلوب، فتقول: «ما حصل للمسيح من عذابه لا يمكن أن يعزى لجميع الشعب اليهودي.. فإن الكنيسة كانت ولا تزال تعتقد بأن المسيح قد مر بعذابه وقتله بحرية بسبب ذنوب جميع البشر، ونتيجة حُبٍ لا حدَّ له »

.

ونلحظ في هذه الوثيقة تعارضاً صريحاً مع النصوص الإنجيلية، المصرحة بدور اليهود بقتل المسيح على الصليب، ومنها قول بولس: « اليهود الذين قتلوا الرب يسوع، وأنبياءهم، واضطهدونا نحن» **تسالونيكي 1 – 15/2** .

وقد ذكرت الأناجيل دورهم، فهم الذين تآمر رؤساء كهنتهم، وهم الذين قدموا الرشوة ليهوذا، وأصروا وأصرت الجموع على صلب المسيح رغم براءته التي ظهرت لبيلاطس ؛ الذي قبل نصيحة زوجته، فتبرأ من دم هذا البار.

كيف يبرأ اليهود من دمه؛ ويوحنا يقول على لسان قيافا رئيس الكهنة: « أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تنكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها.. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » **يوحنا 47/11 – 53** .

واليهود هم الذين أتوا بشهود الزور. ولما وجد بيلاطس أن لا جرم عليه، قال: « إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم : فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا

وعلى أولادنا » متى 24/27 – 25 .

ثم كيف للكنيسة أن تبرئ اليهود وذراريهم من دم المسيح، وهم قد قالوا لبيلاطس: « دمه علينا وعلى أولادنا ؟» متى 25/27 والمفروض أن النصارى يؤمنون بوراثة الذنب الذي أعلن أصحابه مسئوليتهم وأبناءهم عنه، ومن الممكن تصور وراثة ذنب اليهود دون ذنب آدم، أما العكس فلا، وألف لا.

ونتساءل عما يغسل خطيئة اليهود وقد صلبوا الرب–كما زعموا –، إذا علمنا أن خطيئة آدم لم يغسلها إلا دم المسيح ؟

وعندما نسجل هذا الاعتراض على النصرانية، فإنا نعلم براءة اليهود من دم المسيح، فقد أنجاه الله منهم، ولكن ذلك لا يبرئهم من الجريمة، ألا وهي سعيهم لقتل المسيح، فقد خططوا لصلبه، وتآمروا عليه، ومضوا في التنفيذ، فأخذوا مَن ظنوه المسيح، وصلبوه، وقتلوه، وهي في كل القوانين جريمة، والخطأ في شخص المجني عليه لا يغير من بشاعة جريمتهم كثيراً، من حيث نيتهم وما أرادوا فعله.

1.44 عقيدة المسلمين في الخطيئة والخلاص

أثبتنا نجاة المسيح من الصلب، والحديث عن المسيح المصلوب لا يلزم منه أن صلبه كان فداء للخطيئة، لكن نجاة المسيح بلا شك هدم لأساس هذا المعتقد، لكن ذلك لن يمنعنا من الاسترسال في نقد عقائد النصرانية

الملحقة والمبنية على هذا الباطل، وأهمها الفداء ووراثة الذنب الأول.

وقبل أن نشره في بيان بطلان عقيدة الفداء والخلاص نتوقف مع معتقد المسلمين بشأن ذنب آدم وذنوب سائر البشر، فالقرآن ذكر معصية آدم بعد إغواء الشيطان له، لكنه ذكر أيضاً توبته وقبول توبته « وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » طه: 121– 122.

وتحدثت النصوص عن آدم وتكريم الله له فهو خليفة عن الله في أرضه « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » البقرة: 30

وذكرت تكريم الله له ولذريته من بعده « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » الإسراء: 70

ولعل أبرز تكريم لآدم أن أسجد الله له ملائكته « ولقد خلقناكم ثم صورنكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » الأعراف: 11

وتوبة آدم قبلها الله كما يقبل توبة سائر من عصاه، ولو عظم ذنبه « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » الزمر: 53

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » النساء: 116

وأنزل الله آدم من جنته، وجعله في الأرض، وطلب منه عمارتها وأعطاه قدرة تامة على فعل الخير والشر طالما امتدت به الحياة ثم يرد إلى ربه فيجازى عما قدم « قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

» البقرة: 38 – 39

وأكدت النصوص القرآنية مسئولية الإنسان عن عمله « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » طه: 14 – 15 « وكل إنسان ألزمنه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » الإسراء: 13–14 .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . الزلزلة:6–7

لكن هذه المسئولية للإنسان عن عمله لا تمنع رحمة الله « إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » طه: 73

وأما مسألة وراثة الذنب فهي مرفوضة والقرآن بصراحة يقول « ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى» النجم: 36 – 40.

وهذا الذي ورد في الرسالات السابقة أيضاً « أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى » النجم: 34 – 36

« قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى » الأعلى: 14–19

وأخيراً: « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً » النساء: 123

وهذه النصوص قبس من آيات عظيمة من كتاب الله تكاثرت على ذكر هذه المعاني بجلاء ووضوح، ذكرناها كمدخل لنقض عقيدة الفداء

والصلب والتي لن نحتج في إبطالها بهذه النصوص العظيمة من كلام الله، وذلك مضياً على الخط الذي انتهجناه في هذه السلسلة، وهو نقض مسائل النصرانية من خلال العقل والنظر الصحيح إضافة إلى النصوص المقدسة عند النصارى.

1.45 عقيدة الخلاص

تعتبر عقيدة الفداء والخلاص مفتاح جميع العقائد النصرانية، فهي أهم ما يبشر به النصارى، ولتحقيقها وضع النصارى المسيح – الذي أنجاه الله – على الصليب، وليتحقق الفداء على صورة ترضي الإله العظيم جعلوا المصلوب إلهاً، حتى يساوي الفادي المثمن العظيم، وهو نجاة البشرية وخلاصها من الخطيئة والدينونة، وهو ما عبر عنه بطرس بقوله: « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى: بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حَمَلٍ بِلاَ عيْب، ولا دنس، دم: المسيح » بطرس 1 – 18/1 – 19.

وقبل أن نلج لنقض هذا المعتقد نتعرف على معتقدات الفرق النصرانية المختلفة في هذه القضية الهامة. لنعرف مقصدهم في الخلاص، ولمن يبذلونه، وعمن يمنعونه، إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة بهذه القضية والتي يتوقف على إثباتها مصير آلاف الملايين من البشر في عصرنا وسائر العصور.

اختلف النصارى في تحديد الذنوب التي يشملها الخلاص، والعباد الذين يستحقون هذا الفضل، فالكاثوليك والأرثوذكس يرون أن الخلاص لا يشمل جميع الذنوب، إنما يشمل الخطيئة الأصلية، وكما يقول أوغسطينوس: بعد الفداء عادت للبشرية حريتها وإرادتها التي سلبتها بذنب آدم، فإذا ما أتى المتعمد ذنباً بعد معموديته فسيعود مستحقاً للعذاب الدائم إن كان الذنب كبيراً.

أما إن كان الذنب صغيراً فيكون عذابه في – المطهر : الذي يعذب به المؤمنون ردحاً من الزمن حتى يخلصوا من القصاصات التي عليهم.

يقول عن عذاب المطهر كتاب مختصر التعليم المسيحي الصادر عن الجمعية الكاثوليكية للمدارس المصرية: « المطهر هو عذاب تطهر فيه نفوس الأبرار قبل دخولها السماء... الذين يعذبون بالمطهر هم الذين يموتون في النعمة إلا أنهم لا يخلون من الخطايا العرضية، أولم يوفوا بالتمام القصاصات الزمانية عن خطاياهم المميتة المغفورة...إن عذاب المطهر هو أشد من كل عذاب مدة الحياة..إلى أن يوفوا تماماً ما عليهم من القصاصات» .

ودليل الكاثوليك في هذه العقيدة وهو ما جاء في مرقس: « كل واحد يملح بالنار، وكل ذبيحة تملح بالملح » **مرقس 49/9 فهو عذاب يشمل كل مؤمن عليه قصاصات.**

صكوك الغفران للخلاص من القصاصات

وقد ظهرت بدعة صكوك الغفران كعلاج لعذاب المطهر في المجمع الثاني عشر المنعقد في روما سنة 1215م وقرر فيه أن « الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء » .

وقد استندت الكنيسة لهذا المعتقد لعدد من النصوص منها « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات» متى 18/16 – 19 ، ولما كانت الكنيسة تعتبر نفسها وارثة لبطرس ورثت أيضاً هذا السلطان.

وأيضاً يقول يوحنا بأن المسيح قال لتلاميذه: « من غفرتم للناس خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » يوحنا 23/20

فقد ورثوا دور المسيح الوسيط الذي وصفه بولس: « يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح » تيموثاوس 1– 5/2 .

وقد ووجه قرار المجمع باحتجاجات طويلة من الذين رفضوا أن يكون قرار الغفران بيد رجال الكهنة الخاطئين. كيف لهؤلاء أن يمنحوا الخلاص والغفران؟

وفي عام 1869م صدر قرار يفيد عصمة البابا خروجاً من هذه الاحتجاجات وغيرها، وقد ظهر بعد انتشار صكوك الغفران ما أسمته الكنيسة بالتعويض السري ويشرحه – معجم اللاهوت الكاثوليكي – فيقول: « الإنسان يخضع لهذه المراحل التطهيرية، إذ يموت مبرراً بالنعمة، بمقدار ما تكون

حالة العقاب – المستحق – لا تزال موجودة فيه، ولم تزل بزوال الخطايا بالغفران يوم التبرير، وبمقدار ما بالإمكان أن تزيل هذه الحالة عقوبات تعويضية... فإذا لم نتم التعويض السري بعد أن نكون قد أكدنا إرادتنا كلياً للتعويض يظل السر صحيحاً، إنما يجب أن نقوم بذلك التعويض محتملين نتائج الحقيقة الأليمة » .

– وصكوك الغفران التي بقيت الكنائس تصدرها ردحاً طويلاً من الزمن فقد كانت أحد أسباب وجود البروتستانت وانشقاقهم عن الكنيسة الكاثوليكية.

وهي نوعِ من وثنية النصارى، فالغفران فتح لأبواب الجنة وتحديد لمصير البشر، وعليه فإن هؤلاء الذين يملكونها غدوا في الحقيقة آلهة أخرى تضاف إلى التثليث الذي يقولون به.

والتأمل في صورة الحصول على الغفران التي اعتمدتها الكنيسة يمجها، حيث يجلس التائب أو التائبة في خلوة بين يدي رجال الكهنوت المتبتلين والممنوعين من الزواج، فتقص الفاجرة قصة فجورها بين يديه، ومعلوم ما يسبب ذلك من الفتنة والفساد البغاء.

وأما الصيغة الأخرى للحصول على الغفران والمتمثلة بدفع المال لرجال الكهنوت فهي نوع من الامبريالية في الدين إذ الذي لا يجد من المال ما يشتري به صك غفران، فليس عليه إلا أن يهيئ نفسه لدخول النار، وبئس القرار، لأن الجنة – بمقتضى هذا المنطق المعكوس، والفهم المنكوس– ستكون مخصصة للأغنياء فقط.

إذاً فالفداء عند الكاثوليك والأرثوذكس يتلخص بقول هنري أبو خاطر: « هو تجسد الإله لتخليص البشرية من شوائب الخطيئة الأولى » .

ولولا فداء المسيح لهلك الجميع كما هلك السابقون للمسيح ومنهم الأنبياء الذين كما يقول بولس سلامة في كتابه – مع المسيح : كانوا في – أليمبس – أي جهنم – مقر لأرواح الصالحين الأبرار الذين أوصدت في وجههم أبواب السماء، بسبب خطيئة آدم الأولى، فلبثوا حتى مجيء آدم الثاني، أي المسيح .

ويقول عوض سمعان عن موسى عليه السلام: « ومهما كانت عظمة موسى فإنه لولا نعمة المسيح له، لكان قد هلك واستحق عقاباً أبدياً على خطيئته » .

1.47 الخلاص عند البروتستانت

أما البروتستانت فيرون الفداء أوسع من ذلك بكثير، إذ يرونه يشمل كل الخطايا، كما يشمل كل الناس مؤمنهم وكافرهم.

يقول جورد فورد في – نور العالم : « العاقل يعلم أن شروط الخلاص والهلاك أجلُّ وأعدل من أن تكون مذهبية، أو تتنوع باختلاف الشعوب والنحل » .

ويقول أنيس شروش في مناظرته لديدات: « يسوع الناصري، هو الذي حقق هذه النبوءة، وذلك بالموت نيابة عن الخطاة، كل الخطاة، وليس فقط آدم وحواء » .

ويقول أيضاً: « الخلاص ليس للمسلمين، ولا لليهود، ولا للآخرين، إنه لنا جميعاً، إن الله يحبنا، لقد أصبح الله ابناً، وأصبح الابن إنساناً، وهكذا أصبحنا نحن كبشر أبناء الله » .

ويقول العالم البروتستانتي ترثون: « نحن نجتاز نحو مبدأ الكفارة، تلك هي أن المسيح قد أصبح إلى حد ما بمعنى الفداء عن الخطيئة، ومن ثم فقد صالح الله الأب الإنسان الخاطئ» ، « لأنه إن كنا ونحن أعداء، فقد صولحنا مع الله بموت ابنه » رومية 10/5 .

نصوص الخلاص 1.48

وتختلف النصوص الإنجيلية في حدود الخلاص الذي حصل بسبب المسيح هل هو عام لكل البشر أم خاص بالمؤمنين بقيامة المسيح ؟ أم بالمؤمنين بأن المسيح ابن الله ؟

وهل هو عن ذنب آدم فقط أم عن جميع الذنوب التي سبقت صلب المسيح ؟ أم عن الذنوب التي يرتكبها العبد بعد التعميد ؟ أم لجميع الذنوب حاضرها ومستقبلها ؟

لتوضيح هذا التخبط نعرض نماذج لهذه النصوص، يقول بولس عن المسيح: « هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون – إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول – ينالون وعد الميراث الأبدي » عبرانيين 15/9 فجعل بولس الخلاص إنما هو من ذنب آدم فقط.

ولكنه في موضع آخر يجعل الخلاص أوسع من ذلك، فيقول: « المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار بره في الزمن الحاضر ليكون باراً، ويبرر من هو من الإيمان بيسوع » رومية 24/3– 25 ، فقد جعل الخلاص خاصاً بالخطايا التي سبقت المسيح، وشرطه بالإيمان بالمسيح. ومثله ما جاء في مرقس: « من آمن واعتمد خلص، ومن لم

يؤمن يدن » مرقس 16/16 .

وفي موضع آخر يجعل بولس الخلاص للجميع، لجميع البشر، فيقول عن المسيح « بذله لأجلنا أجمعين » رومية 32/8 ويوضحه قول يوحنا: « يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً » يوحنا 1– 2/2 ويؤكده قوله: « نشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم » يوحنا 14/4 فجعل الخلاص عاماً لكل الخطايا، ولكل البشر، مخالفاً قول بطرس: « كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » أعمال 43/10 فقد قيد الخلاص بالمؤمنين به.

فيما جعل بولس في مكان آخر الخلاص على درجات يتفاوت فيها حتى المؤمنون به يقول: «قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لليهودي أولاً، ثم لليوناني » رومية 16/1 .

ويشترط بولس للخلاص الإيمان بأبوة الله للمسيح، ويضيف شرطاً آخر هو الاعتراف القلبي بقيامة المسيح من الأموات فيقول: « إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » رومية 9/10 .

1.49 خطيئة آدم والذنب الموروث

تبدأ قصة الخطيئة ثم الخلاص والفداء عندما خلق الله آدم في جنته ونهاه عن الأكل من أحد أشجارها، فأغواه إبليس، فوقع الأبوان في شراك كيده وأكلا من الشجرة المحرمة، فعاقبهما الله بما يستحقا، وأنزلهما إلى

الأرض.

فمدخل عقيدة الخلاص والفداء هي تلكم القصة التي حصلت في فجر البشرية، فلنر ماذا يقول الكتاب المقدس عن تلك القصة، ولنبدأ باستعراض قصة ذنب آدم كما جاءت في سفر التكوين.

1.50 قصة خطيئة آدم في سفر التكوين

« وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً:من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت... وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة: أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة تأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه، ولا تمساه لئلا تموتاه. فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر. وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة، فخشيت لأني عريان فاختبأت فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها، فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت.

فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة: الحية غرّتني فأكلتُ.

فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم. ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه.

وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها. ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب، وإلى تراب تعود...

وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة »

1.51 نقد القصة التوراتية للخطيئة الأولى

إن التأمل في القصة التوارتية يثير عدداً كبيراً من الأسئلة ويشكك في مصداقية الرواية التي بنى عليها النصارى أحد أكبر أوهامهم.

وأول ما نلاحظه أن الرواية التوراتية تتحدث عن الذات الإلهية بما لا يليق وشمولية علم الله وتنزهه ومنه « وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب النهار، فاختبأ آدم وامرأته في وجه الرب الإله في وسطر شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت ؟ » .

كما نسبت الرواية التوراتية الإغواء إلى الحية، فلئن كانت الحية حقيقية كما يذهب إليه مفسرو آهل الكتاب فالسؤال هل الحيوان يكلف ويعاقب، وهل تكليفه قبل آدم أم بعده، وهل أرسل له رسل من جنسه، وأين أشار العهد القديم لمثل هذا التكليف الغريب؟

كما يجعل السفر التوراتي سبب إخراج آدم من الجنة الخوف من تسلط آدم على شجرة الحياة « والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن » .

ويبقى السؤال الأهم: ما هي معصية آدم؟ وتأتي الإجابة التوراتية واضحة لقد أكل من الشجرة المحرمة شجرة معرفة الخير والشر، لقد عرفا الخير والشر. فماذا ترتب على هذه المعرفة من ثمرة؟ لا يذكر النص التوراتي لهذه الفعلة أثر سوى أنه آدم وحواء عرفا بأنهما عريانان، إذ انكشفت لهما الأمور بمعرفتهما للخير والشر.

لكن المعرفة سلم للوصول إلى الحقيقة، ولم تحرم إلا في زمن الطغاة والمستبدين فهل كان بحثه عنها جريمة! أليس ذلك تحقيقاً لإقامة الجنس البشري.

ثم من الظلم أن يعاقب آدم – حسب النص – على ذنب ما كان له أن يدرك قبحه إذ لم يعرف الخير من الشر، ونتساءل كيف وقع آدم في الإثم وهو غير ميال للشر والخطيئة التي دخلت للإنسان بعده كما يزعم

النصارى.
أما الإسلام فيعترف بالجبلة البشرية التي خلق الله الإنسان عليها فهو مستعد للخير والشر، مدرك لهما، ولذا فهو مكلف بفعل الخير وبالامتناع عن الشر، ومحاسب على ذلك.
وثمة مسألة أخرى هامة من الذي يتحمل وزر الذنب آدم أم حواء؟
يذكر النص التوارتي ما يفهم منه براءة آدم وإدانة حواء، ففيه أن حواء التي أغوتها الحية فأكلت « وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل » .
ولما سئل عن فعلته قال آدم: « المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت» وبراءة آدم هي ما صرح به بولس « وآدم لم يغو، لكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي » تيموثاوس 1– 14/2 .
ولا ريب أن لهذا كبير علاقة مع النظرة اليهودية للمرأة حيث تزري بها شرائع اليهودية، وهي في هذا النص تعتبرها سبباً للخطيئة.
والقرآن الكريم عندما تحدث عن خطيئة آدم حمل آدم المسئولية الأولى « وعصى آدم ربه فغوى» طه:121
كما تحدث النص التوراتي عن عقوبات ثلاث طالت آدم وحواء والحية.
أما الحية فكانت عقوبتها أنها « ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » .
وأما عقوبة حواء « تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون

اشتياقك، وهو يسود عليك » .

وأما عقوبة آدم « ملعونة الأرض بسببك، وبالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً » .

ولنا أن نتساءل: هل كانت الحية قبل مستوية القامة حسناء لا تأكل التراب، بل تبلع الحيوان.

وأما المرأة فعوقبت بأمرين: أحدهما: جسماني، وهو أتعاب الحمل والولادة، وثانيهما: معنوي نفسي، وهو دوام اشتياقها للرجل، وأنه يسود عليها.

ونلحظ أن هذه العقوبة تختلف عن العقوبة التي هدد فيها من يأكل من الشجرة « وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت » .

ولا يمكن أن يقال بأن الموت موت معنوي لأنه لا يفهم من السياق، ولقول بولس « كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » **رومية 23/5** .

و مما يصرف الموت عن المجاز إلى الحقيقة أن النص يقول: « لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت » **فكما الأكل حقيقي، الموت حقيقي.**

فلسفة النصارى لمسألة الخطيئة والكفارة 1.52

قرأنا النص التوراتي من خلال الملاحظات السابقة، فما هو رأي النصارى في خطيئة آدم وعقوبتها وأبعادها؟

يعتبر سانت أوغسطينوس في مقدمة النصارى الذين قدموا تفسيراً متكاملاً لهذه المسألة، ويعتبره العثماني في كتابه: ما هي النصرانية- الوحيد الذي استوعب قضية الكفارة.

وخلاصة رأيه كما نقله العثماني:

- أن الله خلق الإنسان وترك فيه قوة الإرادة في حرية كاملة، وأنعم عليه، وحرم عليه تناول القمح.

لكن آدم وضع قوته الإرادية في غير موضعها عندما تناول ما حرم عليه، ولم يكن صعباً عليه تحاشي المعصية، إذ لم يكن يعرف يومذاك عواطف الهوس والشهوة.

- ذنب آدم ذنب عظيم لأنه يتضمن ذنوباً عديدة أولها: الكفر إذ اختار آدم أن يعيش محكوماً بسلطته بدل أن يعيش في ظل الحكم الإلهي.

وثانيها: كفر وإساءة أدب مع الله، لأن الإنسان لم يتيقن في الله.

وثالثها: قتل نفسه، إذ جعل حكمها الموت.

ورابعها: الزنا المعنوي، لأن إخلاص الروح الإنسانية قد ضاع من أجل التصديق بقول الحية المعسول.

وخامسها: السرقة إذ نال ما لا يحل له.

وسادسها: الطمع.

وهكذا كانت هذه الخطيئة أماً لكل الأخطاء البشرية – والحق أنك مهما

أمعنت في حقيقة أي إثم فستجد له انعكاساً في هذه الخطيئة الواحدة .
- جزاء هذه الخطيئة الشنيعة الموت الدائم، أو العذاب الدائم « لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» ، كما سلب آدم بعدها الحرية الإرادية بعد أن هزمه الذنب، فأصبح حراً في إتيان الإثم، وغير حرٍ في صنع المعروف، فالعقاب المعقول للذنب هو الذنب بعده، بعد تخلي رحمة الله عنه، وهكذا أصبحت الخطيئة مركبة من طبيعة الأبوين، وانتقلت منهما وراثة إلى سائر أبنائهما.

ونلحظ في طرح أوغسطينوس التضخيم الكبير لمعصية آدم، والغاية منه كما هو واضح قفل طريق الرجعة بالتوبة تمهيداً لإشاعة عقيدة المخلص يسوعِ عليه السلام، وما ذكره أوغسطينوس في ذنب آدم من تهويل من الممكن أن نقوله عن سائر الذنوب، وذنب آدم كسائر الذنوب دون عفو الله ومغفرته.

ولو توقف النصارى عند هذا الحد لكانت القضية شخصية، لكن أوغسطينوس وغيره من النصارى يصرون على أن هذا الذنب لابد له من عقوبة قاسية، كما يرتبون على هذا الذنب مسألة خطيرة، وهي وراثة البشرية جمعاء لذنب أبويهم واستحقاقهم لتلك العقوبة القاسية.

ويؤكد أوغسطينوس على وراثة البشرية لذنب الأبوين إذ أصبحت الخطيئة كامنة في طبيعتهما فانتقلت وراثة إلى سائر الأبناء، فيولد الطفل وهو

مذنب، لأن وباء الخطيئة كما يقول جان كالوين قد سرى إلى هذا الطفل وراثة، ويصوره أكويناس بالذنب تذنبه الروح لكنه ينتقل إلى أعضاء وجوارح الإنسان.

وهكذا أصبح البشر جميعاً خطاة لأنه كما يقول عوض سمعان في كتابه – فلسفة الغفران في المسيحية : وبما أن آدم الذي ولد منه البشر جميعاً كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة التي خلقه الله عليها، وأصبح خاطئاً قبل أن ينجب نسلاً، إذن كان أمراً بدهياً أن يولد أبناؤه جميعاً خطاة بطبيعتهم نظيره، لأننا مهما جلنا بأبصارنا في الكون لا نجد لسنة الله تبديلاً أو تحويلاً، ولذلك قال الوحي: « بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم » رومية 12/5 – 21 .

ويشبه كالوني أحد علماء البروتستانت انتقال الخطيئة لبني آدم بانتقال الوباء، فيقول « حينما يقال: إننا استحققنا العذاب الإلهي من أجل خطيئة آدم، فليس يعني ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء، وقد حملنا ظلماً ذنب آدم.... الحقيقة أننا لم نتوارث من آدم العقاب فقط، بل الحق أن وباء الخطيئة مستقر في أعماقنا، على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقاً للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو، وليس من ذنب أحد غيره » .

وشعر علماء النصرانية بما تحويه عقيدة وراثة الخطيئة من ظلم للإنسانية، فعلموا على تبريرها لتقبلها العقول وعقوبتها من دون اعتراض ولا إحساس بالظلم، فيقول ندرة اليازجي: « آدم هو مثال الإنسان، الإنسان الذي وجد في حالة

النعمة وسقط، إذن سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل إنسان، إذن خطيئة آدم هي خطيئة كل إنسان، فليس المقصود أن الخطيئة تنتقل بالتوارث والتسلسل لأنها ليست تركة أو ميراثاً.
إنما المقصود أن آدم الإنسان قد أخطأ، فأخطأ آدم الجميع إذن، كل واحد قد أخطأ، وذلك لأنه إنسان » .

يرى جويل بويد أن لا ظلم في صلب المسيح، إذ أن المسيح بتجسده الإنساني قد أصبح خاطئاً متقمصاً شخصية الإنسان المجرم الخاطئ، وعليه فقد استحق قول التوراة: « النفس التي تخطئ هي تموت » .

1.53 نقض فلسفة وراثة الخطيئة الأصلية

وهذه التبريرات المتهافتة ما كان لها أن تقنع أحداً ممن يرى في وراثة الذنب ظلماً يتنزه الله عنه.
فتشبيههم لوراثة الذنب بعدوى المرض باطل، لأن المرض شيء غير اختياري فلا يقاس الذنب عليه، كما المرض لا يعاقب عليه الإنسان.
وفصل أكونياس بين الروح والجسد وقوله بأن الخطيئة تسري من الروح للجوارح خطأ، لأن الخطأ عندما يقع فيه الإنسان، فإنما يقع فيه بروحه وجسده، فالإنسان مركب منهما، ويمارس حياته من خلالهما معاً. أما آدم فهو غير مركب في آدم وأبنائه.
لذا نصر على اعتبار وراثة الذنب نوعاً من الظلم لا يليق نسبته لله عز وجل.
وهذا المعتقد لا دليل عليه في التوراة، بل الدليل قام على خلافه، إذ

جاءت النصوص تنفي وراثة الذنب، وتؤكد على مسئولية كل إنسان عن عمله ومنها:

– « النفس التي تخطيء هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون » **حزقيال 20/18 – 21** .

– « لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل » **تثنية 16/24** .

– « بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه » **إرمياء 30/31** .

– « الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه، وحسب ثمرة أعماله » **إرميا 19/32**

– « لا تموت الآباء لأجل البنين، ولا البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيته » **أيام 2– 4/25** .

– « فإنه لا يموت بإثم أبيه » **حزقيال 17/18** .

– « أفتهلك البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم. حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً » **تكوين 23/18 – 25** .

كما أنكر المسيح الخطيئة الأصلية بقوله: « لو لم آت وأكلمهم، لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فليس لهم حجة في خطيئتهم... لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخر، لما

كانت لهم خطيئة، أما الآن فقد رأوا وأبغضوني » **يوحنا 22/15 – 24**

فالنص لا يتحدث عن خطأ سابق عن وجوده، بل عن خطأ وقع فيه بنو إسرائيل تجاهه، هو عدم الإيمان بالمسيح، وليس فيه أي ذكر للخطيئة الموروثة بل هو لا يعرف شيئاً عنها.

بطلان وراثة الخطيئة بإثبات براءة الكثيرين من الخطيئة الأصلية

تشهد الكتب المقدسة عند النصارى لكثيرين بالخيرية وتثني عليهم، ولو كانوا مسربلين بالخطيئة الأصلية لما استحقوا هذا الثناء، ومنهم الأطفال الذين قال فيهم المسيح في إحدى وصاياه «الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد، فهو الأعظم في ملكوت السماوات» **متى 3/18 – 4 ، وانظر مرقس 16/13/10**

.

وعندها نهر تلاميذه أطفالاً قال: «دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات» **متى 13/19 – 14 فيفهم من هذين النصين طهرة الأطفال من الخطيئة الأصلية، لذلك جعلهم مثلاً للأبرار الذين يدخلون الجنة.**

لكن القديس أوغسطينوس كان يحكم بالهلاك على جميع الأطفال غير المعمدين، وكان يفتي بأنهم يحرقون في نار جهنم.

والأبرار أيضاً لم يحملوا هذه الخطيئة لذلك يقول المسيح: « لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة » **لوقا 32/5 فكيف يوجد أبرار ولما يصلب**

المسيح.

وهؤلاء الأبرار ذكرتهم نصوص التوراة وأثنت عليهم ولم تتحدث عن قيدهم بالخطيئة الموروثة «كان كلام الرب إلي قائلاً: ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين: الآباء أكلوا الحصرم، وأسنان الأبناء ضرست. حي يقول السيد الرب... الإنسان الذي كان باراً وفعل حقاً وعدلاً، لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولم ينجس امرأة قريبه، ولم يقرب طامثاً، ولم يظلم إنساناً... فهو بار، حياة يحيا يقول السيد الرب» . حزقيال 19/18 – 23 .

ومن هؤلاء الأبرار الذين لم تكبلهم الخطيئة، وأثنت عليهم التوراة الأنبياء، ولو كانوا حاملين للخطيئة لما كانوا أهلاً لهداية الناس، فإن قيل عفي عنهم، فلم تره لم يعف عن الباقين كما عفى – من غير دم – عن الأنبياء الذين اختار الله منهم كليماً وخليلاً.

ومن الأنبياء الذين أثنت عليهم التوراة أخنوخ « وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه» تكوين 24/5 .

وأيضاً نوح « وكان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله » تكوين 9/6 .

وأيضاً إبراهيم فقد قيل له: « لا تخف يا إبرام أنا ترس لك، أجرك كثير جداً » تكوين 1/11 ، وقيل عنه « بارك الرب إبراهيم في كل شيء » تكوين 1/24 .

وإيليا أيضاً «فيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار، وخيل من نار، ففصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء» ملوك 2– 11/2 .

ومن هؤلاء الأبرار أيوب، كما امتدحته التوراة: «قد قلت في مسامعي، وصوت

أقوالك سمعت. قلت: أنا بريء بلا ذنب، زكي أنا ولا إثم لي» **أيوب 8/33** .

وأيضاً يوحنا المعمدان « الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » **متى 11/11 ، ويقول عنه لوقا:** «لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب» **لوقا 15/1 ، فهؤلاء جميعاً لم يرثوا الخطيئة، ولم تؤثر بهم مع أنهم من ذرية آدم، والكتاب يعلن صلاحهم وعدم احتياجهم إلى الخلاص بدم المسيح أو غيره..**

كما أثنت التوراة على أشخاص من غير الأنبياء فدل ذلك على عدم حملهم للخطيئة الأصلية.

منهم هابيل بن آدم الذي تقبل الله منه ذبيحته لصلاحه، ولم يقبلها من أخيه فلم تمنعه الخطيئة الأصلية عن أن يكون عند الله مقبولاً انظر التكوين 4/4 ، وقد قال عنه بولس: «بالإيمان قدم هابيل للّه ذبيحة أفضل من قايين، فبه شهد له أنه بار، إذ شهد الله لقرابينه» **عبرانيين 4/11** .

وكذلك الناجون مع نوح كلهم من الأبرار « ورأى الله الأرض، فإذا هي فسدت، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض فقال الله لنوح: نهاية كل بشر أتت أمامي... وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط» **تكوين 12/6–23/7 ولو كانت الخطيئة موروثة لما كان مبرر لهذا التفريق.**

وأيضاً شهد المسيح بنجاة لعاذر، وقد مات قبل الصلب المزعوم للمسيح « فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الفتى أيضاً، ودفن، فرفع عينيه في

الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم، ارحمني.... » لوقا 21/16 –24 .

إبطال نظرية الذنب الموروث بشهادات النصارى 1.54

ومما يبطل نظرية وراثة الخطيئة الأصلية الإنكار الذي صدر عن النصارى قديماً وحديثاً، فعبروا عن رفضهم لهذا الظلم وعن تحمل تبعات خطيئة لم يرتكبوها ولم يستشاروا فيها، بل ولم يشهدوها، ومن ذلك :

– أن بولس صاحب فكرة الخطيئة الموروثة صدق في أحد أقواله حين قال: « كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم » رومية 12/5 فكلمة « كأنما » تشكيك في حصول ذلك.

– أن مخطوطات نجع حمادي المكتشفة بعد الحرب العالمية الثانية خلت من الحديث عن الخطيئة والغفران الذي يتحدث عنه آباء الكنيسة.

– أن ثمة منكرون لهذه العقيدة في النصارى، ومنهم الراهبان في روما في مطلع القرن الخامس بيلاجوس وسليتوس وأصحابهما، فقد أنكروا سريان الخطيئة الأصلية إلى ذرية آدم، واعتبروه مما يمنع السعادة الأبدية، وقالوا بأن الإنسان موكول بأعماله.

ومنهم كوائيليس شيس الذي نقلت عنه دائرة المعارف البريطانية أنه قال: « ذنب آدم لم يضر إلا آدم، ولم يكن له أي تأثير على بني النوع البشري، والأطفال الرضعاء حين تضعهم أمهاتهم يكونون كما كان آدم قبل الذنب » .

ومنهم الدكتور نظمي لوقا في كتابه – محمد الرسالة والرسول : حيث تحدث عن الآثار السلبية التي تتركها هذه العقيدة فيقول: « الحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال الفرد، فيمضي حياته مضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث.

إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقاً...

وإن أنسى لا أنسى ما ركبني صغيراً من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم... جزاء وفاقاً على خطيئة آدم بإيعاز من حواء... وإن أنسى لا أنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري على ملايين البشر قبل المسيح أين هم، وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة» .

ويقول الميجور جيمس براون عن فكرة وراثة الذنب الأول: «فكرة فاحشة مستقذرة، لا توجد قبيلة اعتقدت سخافة كهذه » .

وأخيراً: فهل ذنب آدم هو الذنب الوحيد الذي يسرى في ذريته أم أن جميع الخطايا تتوارث. فإن خصوا ذنب آدم بالتوارث فقد خصصوا، ولا مخصص. وهكذا بطل القول بسريان الخطيئة إلى ذرية آدم، من خلال النصوص الصريحة في الكتب المقدسة وبشهادة العقلاء من أبناء النصرانية.

ويقول النصارى: إن الله أراد برحمته أن يخلص الأرض من اللعنة التي أصابتها بسبب معصية آدم، لكن عدله يأبى إلا أن يعاقب أصحاب الذنب، فكيف المخرج للتوفيق بين العدل والرحمة ؟

يلخص أوغسطينوس المسألة بأن الله رحيم ولا يريد أن يغير قوانين المحكمة، وفيها أن الموت عقوبة عادلة لهذه الخطيئة الأصلية، فاتخذ حيلة ينجي بها عباده، فيموتون ثم يحيون من جديد، فتعود إليهم حريتهم بعد حياتهم الجديدة.

ولما كانت إماتة الناس جميعاً تتعارض مع قانون الطبيعة وسنن الكون، فكان لابد من شخص معصوم من الذنب الأصلي يعاقبه الله بموته، ثم يبعثه، فيكون موته بمثابة موت البشرية وعقوبتها، وقد اختار الله ابنه لهذه المهمة.

ويقول القس لبيب ميخائيل: « إن الله الرحيم هو أيضاً إله عادل، وإن الله المحب هو أيضاً إله قدوس يكره الخطيئة، وإذا تركزت هذه الصورة في أذهاننا.... سندرك على الفور أن صفات الله الأدبية الكاملة لا يمكن أن تسمح بغفران الخطية دون أن تنال قصاصها... فإن الصليب يبدو أمامنا ضرورة حتمية للتوفيق بين عدل الله ورحمته » .

ويؤكد هذه المعاني عوض سمعان في كتابه – فلسفة الغفران – بقوله « لو كان في الجائز أن تقل عدالة الله وقداسته عن رحمته ومحبته اللتين لا حد لهما، فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به، أن لا يتساهل في شيء من مطالب عدالته وقداسته، وبما أنه لا يستطيع سواه إيفاء مطالب هذه وتلك، إذن لا سبيل للخلاص من الخطيئة ونتائجها إلا بقيامه

بافتدائنا بنفسه » .

فالمسيح المتأنس غير مولود من الخطيئة، ومسارٍ لقيمة جميع الناس، فكان الفدية التي اصطلح فيها الله مع الإنسانية.

ويقول حبيب جرجس في كتابه –خلاصة الأصول الإيمانية « ولما فسد الجنس البشري، وصار الناس مستعبدين للخطيئة، وأبناء للمعصية والغضب لم يتركهم الله يهلكون بإنغماسهم فيها، بل شاء بمجرد رحمته أن ينقذنا من الهلاك بواسطة فادٍ يفدينا من حكم الموت، وهذا الفادي ليس إنساناً ولا ملاكاً ولا خليقة أخرى، بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى أبد الآبدين » .

ويؤكد القس جولد ساك على أهمية القصاص فيقول: « لابد أن يكون واضحاً وضوح الشمس في ضحاها لأي إنسان بأن الله لا يمكنه أن ينقض ناموسه، لأنه إذا فعل ذلك من الذي يدعوه عادلاً ومنصفاً » .

إذن لابد من العقوبة حتى تحصل المغفرة. وفي ذلك يقول بولس: « وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة » **عبرانيين 22/9** .

ويقول: « لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم، وفي أرواحكم التي هي لله » **كورنثوس 1– 20/6** ، **ويقول:** « أجرة الخطية هي موت » **رومية 23/6** .

ويقول: « لأنه وإن كنا ونحن أعداء فقد صولحنا مع الله بموت ابنه » **رومية 10/5** .

ويقول بطرس: « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى: بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حَمَلٍ بِلاَ عيْب، ولا دنس دم: المسيح » **بطرس**

19 – 18/1 –1

ويعتبر النصارى فداء المسيح للبشرية العمل الحقيقي للمسيح والذي من أجله تجسد وتأنس، يقول الأنبا أثناسيوس: « فالمسيح هو الله غير المنظور، وقد صار منظوراً، ولماذا صار منظوراً، لينجز مهمة الفداء والخلاص، التي ما كان يمكن لغير الله أن يقوم بها، فالله قد تجسد في المسيح من أجل الفداء والخلاص، فالفداء كان هو الغاية، والتجسد كان هو الوسيلة » .

ويرى المسلمون في هذا الفكر النصراني انحرافاً وتجافياً عن المعقول والمنقول، فإن فيه إساءة أدب مع الله وكفراً به كان ينبغي أن ينزهه النصارى عنه، فقولهم بتناقض العدل مع الرحمة قروناً حتى جاء الحل بصلب المسيح رحمة من الرب بالعالمين.

وتظهر العقيدة النصرانية الله عز وجل عاجزاً عن العفو عن آدم وذنبه، حائراً في الطريقة التي ينبغي أن يعاقبه بها بعد أن قرر عقوبته.

ويظهر قرار العقوبة وكأنه قرار متسرع يبحث له عن مخرج، وقد امتد البحث عن هذا المخرج قروناً عديدة، ثم اهتدى إليه فكان المخرج الوحيد هو ظلم المسيح وتعذيبه على الصليب كفارة عن ذنب لم يرتكبه.

ويشبه النصارى إلههم وقتذاك بصورة مستقذرة بصورة المرابي وهو يريد عوضاً على كل شيء، ونسى هؤلاء أن الله حين يعاقب لا يعاقب للمعاوضة أو لإرضاء نفسه، بل لكبح الشر وتطهير الذنب وعليه فإن

جهنم أشبهت مستشفىً للمرضى بالأضغان والأحقاد والنفاق إلى غير ذلك من كبائر الآثام.

وقد فات الفكر النصراني وجود بدائل كثيرة مقبولة ومتوافقة مع سنن الله الماضية في البشر، وهي جميعاً أولى من اللجوء إلى صلب المسيح تكفيراً للخطيئة ووفاءً بسنة الانتقام والعدل بالمفهوم النصراني.، ومن هذه البدائل: التوبة، والمغفرة والعفو، ومنها العفو بصك غفران، ومنها الاكتفاء بعقوبة الأبوين على جريمتهما، وكل ذلك من سنن الله التي يقرها الكتاب المقدس.

1.57 التوبة من الذنب كفارة له

فلئن كان ثمة تنازع بين الرحمة والعدل– كما يزعم النصارى – فإن من أهم مخارج المسألة التوبة التي ذكر الله في القرآن أن آدم صنعها، وهي باب عظيم من أبواب فضل الله، جعله للخاطئين.

التوبة تغسل الذنب وتنقي القلب، فيكون الخاطئ التائب حبيباً إلى الله، فلم لا يقول النصارى بأن آدم تاب وقبلت توبته، لم يصرون على القصاص، ولم يصرون أنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» عبرانيين 22/9

لقد تحدثت نصوص التوراة والإنجيل بإسهاب عن التوبة وقصصها قبول الله لها.

فها هو المسيح يجلس مع العشارين والخطاة فيتذمر الفريسيون والكتبة

لذلك قائلين: « هذا يقبل خطاة ويأكل معهم » **لوقا 2/15 فأراهم المسيح حرصه على التوبة وفرحة الله بالتائب** «وكلمهم بهذا المثل قائلاً: أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحداً منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده، وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً ويأتي إلى بيته، ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: افرحوا معي، لأني وجدت خروفي الضال.

أقول لكم: إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب... » **لوقا 3/15–7 ،**

وعليه فالتوبة مقبولة عند الله كوسيلة للخلاص من الذنب.

كما ضرب لهم مثلين آخرين بالابن الضال والدرهم الضائع انظر لوقا 8/15 – 32 .

ولقد وعد الله التائبين بالقبول ففي حزقيال « فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً، فحياة يحيا، لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه، بره الذي عمل يحيا، هل مسرة أسر بموت الشرير» **حزقيال 21/18–23**

.

ويقول يوحنا المعمدان مخاطباً اليهود مذكراً إياهم بأهمية التوبة: « يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً » **متى 7/3 –9 فالتوبة هي الطريق وليس النسب كما ليس الفداء.**

تقول التوراة: «فإذا تواضع شعبي الذين دعي اسمي عليهم وصلّوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الردية فإنني أسمع من السماء » **الأيام 2– 14/7 .**

ولكن ورغم هذا كله يقول عوض سمعان: « فالتوبة مهما كان شأنها ليست بكافية

للصفح عما مضى من خطايانا » .

إذاً لماذا أكدت النبوات عليها وعلى فضلها ومحبة الله لها، ولم أغلق هذا الباب في وجه آدم، وهو أولى الناس به لمعرفته بالله العظيم وجزاءه ورحمته، إضافة إلى شعوره بالذنب وأثره الجم عليه وهذا الذي ذكره الله عنه « فعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » طه: **121-122**

1.58 العفو والغفران للمذنبين

ثم إنه ثمة مخرج آخر للجمع بين سنة الله في عقاب الظالمين وعفوه عنهم، ألا وهو سنته في العفو عنهم، فهو لا يتناقض مع العدل، إذ لن يسأل أحد ربه لماذا عفا عمن عفا عنه من المسيئين ؟

وقبل أن نتحدث عن العفو نلاحظ أن لمصطلح العدل عند النصارى مفهوم خاطئ، فالعدل هو عدم نقص شيء من أجر المحسنين، وعدم الزيادة في عقاب المسيء عما يستحق، فهو توفية الناس حقهم بلا نقص في الأجر، ولا زيادة في العقاب.

وعليه فإخلاف الوعيد لا يتعارض مع العدل، بل هو كرم الله الذي منحه للمسيئين بعفوه وغفرانه.

والعفو من الصفات الإلهية التي اتصف بها الرب وطلبها في عباده، وهو أولى بها لما فيها من كمال وحُسن، وقد عفا عن بني إسرائيل «رضيت يا رب على أرضك. أرجعت سبي يعقوب. غفرت إثم شعبك. سترت كل خطيتهم. سلاه حجزت كل

رجزك.رجعت عن حمو غضبك» . **مزمور 85/1–3** .

ويقول بولس: « طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية» **رومية 4/7–8** .

وقد علم المسيح تلاميذه خلق العفو، وضرب لهم مثلاً قصة العبد المديون والمدين انظر متى 18/23 – 34 .

وكان بطرس قد سأل المسيح: « يا رب كم مرة يخطئ إلى أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: بل إلى سبعين مرة » **متى 18/21 – 22** .

ومرة أخرى قال لهم: « أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات، فإنه تشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين » **متى 5/44 – 45** .

ولم لا يكون العفو بصك غفران يمنحه الله لآدم، ويجنب المسيح ويلات الصلب وآلامه، أو يجعل للمسيح فدية عن الصلب كما جعل لإبراهيم فدية فدى بها ابنه إسماعيل.

وكذا فإن إصرار النصارى على أنه لا تكون مغفرة إلا بسفك دم انظر عبرانيين 9/22 ترده نصوص أخرى منها ما جاء في متى « إني أريد رحمة لا ذبيحة، لأني لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة » **متى 9/13** .

وفي التوراة أن الله قال لبني إسرائيل: « بغضت، كرهت أعيادكم، ولست ألتذّ باعتكافاتكم، إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مسمناتكم

لا ألتفت إليها » **عاموس 21/5 – 22 ، فليست الذبيحة الوسيلة الأقرب لرضوان الله، بل أفضل منها العمل الصالح.**

لكن النصارى يمنعون أن يكون هناك عفو عن آدم وأبنائه، بل لابد من العقوبة المستحقة لهم.

1.59 الاكتفاء بالعقوبة التي نالها الأبوان

ذكر سفر التكوين أن الله توعد آدم بالموت إن هو أكل من الشجرة.

ثم بعد الموت عاقبه بقوله: « ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزاً، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود » . **فطرد آدم من الجنة ليعيش في الأرض ويكد فيها.**

وكذلك فإن زوجه عوقبت « تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك » **التكوين 16/3–19 .**

ونلاحظ أن آدم أوعد بعقوبة الموت، لكنه بدلاً عن أن يموت وزوجه جزاء خطيئتهما وتنطفيء الفتنة والفساد والشر في المهد، بدلاً من ذلك كثّر نسلهما، فكان ذلك حياة لهما لا موتاً، وكان سبباً في زيادة الشر والفساد.

لقد عوقب آدم وحواء إذاً، ونلحظ في العقوبة شدة متمثلة في لعن الأرض كلها والأتعاب الطويلة للرجال والنساء، ونلحظ أن ليس ثمة

تناسباً بين الذنب والعقوبة، فقد كان يكفيهم الإخراج من الجنة.

وقد بقيت هذه القصاصات من لدن آدم حتى جاء المسيح الفادي – ثم ماذا ؟ هل رفعت هذه العقوبات بموت المسيح، هل رفعت عن المؤمنين فقط أم أن شيئاً لم يتغير؟

وهذا هو الصحيح، فما زال الناس يموتون من لدن المسيح، يموت أبرارهم وفجارهم فلم يبطل حكم الموت فيهم – كما ذكر بولس –: « مخلصنا يسوع الذي أبطل الموت، وأنار الحياة والخلود » تيموثاوس 2– 10/1 ، وقوله: « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » رومية 12/5 .

فالمسيح لم يبطل بصلبه ولا بدعوته أي موت سواء كان موتاً حقيقياً أو موتاً مجازياً، إذ مازال الناس في الخطيئة يتسربلون.

وأما الموت الحقيقي فليس في باب العقوبة في شيء، بل هو أمر قد كتب على بني آدم برهم وفاجرهم على السواء، قبل المسيح وبعده وإلى قيام الساعة، كما كتب الموت على الحيوان والنبات فما بالهم يموتون؟ وهل موتهم لخطأ جدهم وأصلهم الأول أم ماذا ؟!

ثم إن هناك من لا يملك النصارى دليلاً على موتهم، فنجوا من الموت من غير فداء المسيح، وذلك متمثل في أخنوخ وإيليا اللذين رفعا إلى السماء وهم أحياء كما في الأسفار المقدسة انظر تكوين 24/5، وملوك

2– 11/2، وعبرانيين 5/11 .

وعليه نستطيع القول بأن ليس ثمة علاقة بين الموت وخطيئة آدم.

وكذلك فإن القصاصات الأخرى ما تزال قائمة فما زال الرجال يكدون ويتعبون، وما تزال النساء تتوجع في الولادة.... ويستوي في ذلك النصارى وغيرهم.

وقد يقول النصارى بأن بقاء هذه الأمور لم يعد من باب العقوبة، فقد افتدانا المسيح من لعنة الموت مثلاً وليس من الموت وكذلك بقية العقوبات، ولكن هذا يرد عليه هرب المسيح من الموت وطلبه للنجاة.

فمم كان يفر إذن؟

والعجب من إصرار النصارى بعد هذه العقوبات على أن الذنب مستمر، وأنه لابد من فادٍ بعد هذه العقوبات.

ويزداد العجب لنسبة النصارى الغائلة لله عز وجل والغضب المتواصل بسبب ذنب آدم طوال قرون عدة، ولنا أن نسأل كيف جهل الأنبياء ذلك فلم يذكروه في كتبهم كما لم يذكره المسيح ولم يعرفه تلاميذه من بعده حتى جاء به بولس وآباء الكنيسة فكشفوا ما غاب عن الأنبياء والمرسلين.

ومما يبطل نظرية وراثة الذنب أيضاً النصوص التي تحمل كل إنسان مسئولية عمله.

وقد تعاقب الأنبياء على التذكير بهذا المعتقد في نصوص كثيرة ذكرتها التوراة والأناجيل.

ومنها ما جاء في التوراة «وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: افترزا من بين هذه الجماعة فاني أفنيهم في لحظة. فخرّا على وجهيهما وقالا: اللهمّ اله أرواح جميع البشر، هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة» **العدد 23/26 ، واستجاب له فعذب بني قورح فقط.**

وجاء في سفر المزامير: « الأخ لن يفدي الإنسان فداء، ولا يعطي الله كفارة عنه » **مزمور 7/49 .**

وأيضاً في التوراة: « لا تموت الآباء لأجل البنين، ولا البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيته » **أيام 2- 4/25 .**

وأيضاً يقول المسيح: « فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله » **متى 27/16 .**

وهو عين كلام المسيح: « كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان » **متى 36/12 .**

وقد ورد إثبات مسئولية الإنسان عن عمله في كلام بولس الذي ابتدع

معتقد وراثة الذنب، ومنها قوله : « الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله » **رومية 6/2 .**

من الفادي ؟ 1.61

ورغم هذه العقوبات والمخارج فإن النصارى يقولون بلزوم الفداء والقصاص، فلم لا يكون القصاص في آدم وحواء فيحييهما الله ويصلبهما، أو يصلب بدلاً منهما شيطاناً أو سوى ذلك فإن ذلك، أعدل من صلب المسيح البريء.

يجيب النصارى بأنه لابد في الكفارة أن تكون شيئاً يعدل البشر جميعاً من غير أن يحمل خطيئتهم الموروثة، وهذه الشروط لا تتوافر في آدم وغيره، بل هي لا تتوفر إلا في المسيح الذي تجسد وتأنس من أجل هذه المهمة العظيمة فكان أوان خلاصنا ورحمة الله بنا كما قال لوقا: « لأن ابن الإنسان قد جاء، لكي يصلب ويخلص ما قد هلك » **لوقا 10/19 و** « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، كي لا يهلك كل من يؤمن، بل تكون له الحياة الأبدية، ولأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص » **يوحنا 16/3 – 17 ، فالمسيح يتميز عن سائر البشر بأنه ولد طاهراً من إصر الخطيئة، ولم يصنعها طوال حياته، فهو وحده الذي يمكن أن يصير فادياً وأن يقبل به الفداء، وكما يقول بطرس:** « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى: بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حَمَلٍ بِلاً عيْب، ولا دنس دم: المسيح » **بطرس**

1– 18/1 – 19 .

لكن المسيح لا يمتاز هنا عن كثيرين من الأبرار والمؤمنين الذين لم يفعلوا خطيئة ولا ذنباً، «كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية » يوحنا 9/3 ، ولا يخفى أن كل المؤمنين مولودون من الله «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا : أولاد الله. أي المؤمنين باسمه» يوحنا 12/1 . أما كان صلب أحد هؤلاء كفارة أولى من صلب الإله؟

لكن نرى أن شرط النصارى في براءة الفادي من الذنب لم يتحقق حتى بالمسيح رغم أنه وضع له، فالمسيح عندهم جسد أرضي ويكتنفه حلول إلهي، وهم حين يقولون بالصلب فإن أحداً منهم لا يقول بصلب الإله، لكن بصلب الناسوت، وناسوت المسيح جاءه من مريم التي هي أيضاً حاملة للخطيئة، فالمسيح بجسده الفادي الحامل للخطيئة وراثة لا يصلح أن يكون فادياً، فإن زعمت النصارى بأن مريم قد تطهرت من خطيئتها بوسيلة ما من غير حاجة للفداء، فلم لا يطهر جميع الناس بهذه الوسيلة !

وإن قال النصارى بأن المسيح طهر بالتعميد الذي عمده يوحنا المعمدان وعمره ثلاثون سنة، فقد قالوا بحلول الإله في جسد خاطئ، ويلزمهم أيضاً أن يجوز طهارة كل أحد بالتعميد من غير حاجة لخلاص وفداء.

ثم المتأمل في نصوص العهد الجديد يراها تنسب للمسيح – وحاشاه –

العديد من الذنوب والآثام التي تجعله أحد الخاطئين فلا يصلح حينئذ لتحقيق الخلاص لحاجته هو إلى من يخلصه، فالمسيح كما تذكر الأسفار الإنجيلية سبّاب وشريب خمر، مستوجب لدخول جهنم، ومحروم من دخول الملكوت.

فقد اتهمه متى بشرب الخمر «جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب. فيقولون: هوذا إنسان أكول وشريب خمر. محب للعشارين والخطاة» متى 9/11 .

فيما نسبت إليه الأناجيل الكثير من السباب والشتائم كما في قوله لتلميذيه: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء» لوقا 25/24 ، وقوله لبطرس : «اذهب عني يا شيطان » متى 23/16 ، وكذا شتم الأنبياء وتشبيههم باللصوص في قوله: « قال لهم يسوع أيضاً: الحق الحق أقول لكم: إني أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص» يوحنا 10/7-8 .

وهذا السباب وغيره يستحق فاعله، بل فاعل ما هو أقل منه نار جهنم، وذلك حسب العهد الجديد، يقول متى: « ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم» متى 23/5 ، وقال بولس متوعداً الذين يشتمون والذين يشربون الخمر بالحرمان من دخول الجنة، حيث يقول: «ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله» كورنثوس 1- 10/6 فمن استحق النار – وحاشاه – هل يصلح ليفدي البشرية كلها؟

وعلىكلٍ فالمصلوب هو ابن الإنسان، وليس ابن الله، فالثمن دون الغرض

الذي يدفع له، كيف لإنسان أن يعدل البشرية كلها بدمه؟

كما يؤكد المسلمون أن صلب المسيح البريء نيابة عن المذنب آدم وأبنائه حاملي الإثم ووارثيه نوع من الظلم لا تقره الشرائع باختلاف أنواعها، ولو عرضت قضية المسيح على أي محكمة بشرية لصدر في دقيقتين حكم ببراءته. فكيف رضي النصارى أن ينسبوا الله عز وجل أن يرضى عن مثل هذا الظلم فيصلب البريء بذنب المذنب، وهو قادر على العفو والمغفرة.

ويجيب النصارى بأن ليس في الأمر ظلم، وذلك أن المسيح تطوع بالقيام بهذه المهمة، بل إن نزول لاهوته من السماء وتأنسه كان لتحقيق هذه المهمة العظيمة المتمثلة بخلاص الناس من الإثم والخطيئة، وهذا القول مردود من وجوه عدة.

– منها أن المسيح لا يحق له أن يرضى عن مثل هذا الصنيع فهذا من الانتحار لا الفداء. فقاطع يده مذنب مع أن ذلك برضاه.

– ومنها أن المسيح صدرت منه تصرفات كثيرة تدل على هروبه وكراهيته للموت، ولو كان قد جاء لهذه المهمة فلم هرب منها مراراً، وصدر عنه طبيعة ما يشعر بجهله بهذه المهمة.

فقد هرب المسيح من طالبيه مراراً انظر يوحنا **53/11** .

ولما رأى إصرارهم على قتله قال: « بل ينبغي أن أسير اليوم وما يليه، لأنه لا يمكن

أن يهلك بني خارجاً عن أورشليم » **لوقا 33/13 .**

ولما أحس بالمؤامرة أمر تلاميذه أن يشتروا سيوفاً ليدفعوا بها عنه انظر لوقا 36/22 – 38 .

ثم هرب إلى البستان وصلى طويلاً وحزن واكتئب وتصبب عرقه وهو يطلب من الله « إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس » **متى 39/26 .**

ثم لما وضع على الصليب صرخ « إيلي إيلي، لم شبقتني، أي: إلهي إلهي، لماذا تركتني؟ » **متى 46/27 .**

والنص الأخير اعتبرته دراسة صموئيل ريماروس ت 1778م حجة أساس في نتائجه التي توصل إليها بعد دراسته الموسعة فاعتبره دالاً على أن المسيح لم يخطر بباله أنه سيصلب خلافاً لما تقوله الأناجيل.

– ومنها أن المسيح لم يخبر عن هذه المهمة أحداً من تلاميذه، وأن أحداً منهم لم يعرف شيئاً عن ذلك، كما لم تخبر به النبوات على جلالة الحدث وأهميته، ثم إنه قال قبيل الصلب والفداء المفترض: « أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته » **يوحنا 5/17 ، فقد أكمل عمله على الأرض قبل الصلب.**

لم أُرسل المسيح ؟ 1.62

يحصر النصارى مهمة المسيح المتجسد بالصلب ليحصل الفداء والخلاص الذي قاله يوحنا: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا

يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » **يوحنا 16/3** .

وهو « الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين » **رومية 32/8** .

ونص يوحنا قول مهم في بيان مهمة المسيح، لكن أحداً لم يذكره غير يوحنا، فإما أن يكون القول من عنده كذباً وزوراً، وإما أن نقول بأن الإنجيليين الثلاثة فرطوا أيما تفريط، فتخرم الثقة بهم، وإما أن تكون الفقرة رأياً ليوحنا وأتباعه ولا تصح عقيدة.

ويكذب هذا النص المهمات التي أطبقت على ذكرها الأناجيل، فمن لدن بعثته ذكر مهمة تذكير الناس بالقيامة والحساب وبعثة النبي الخاتم « قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » **مرقس 14/1** .

واستمر في دعوته قائلاً: «إنه ينبغي لي أن أُبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أُرسلت» **لوقا 43/4** .

ومن مهماته إتمام الناموس، لذا تجده يقول: « لا تظنوا أني أتيت لأنقض الناموس، أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل » **متى 17/5** .

وأعظم مهماته عليه السلام الدعوة لتوحيد الله « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته. أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل، قد أكملته » **متى 3/17 – 4** .

ونص يوحنا السالف معارض أيضاً بسؤال المسيح الله أن يجيز عنه كأس الصلب، فلو كانت تلك مهمته لما جاز سؤاله بإجازة الكأس عنه.

وأما نص بولس فهو لا يشعر برضا المسيح، بل ناطق بظلم لا يصح أن

ينسب لله، ويرد عليه ما يرد على نص يوحنا.

ويزعم نص يوحنا أن محبة الله للبشرية هي سبب صلب المسيح فداء عن العالمين. فماذا عن محبة الله للمسيح الذي لم يشفق عليه، وأسلمه لأشنع قتلة وإهانة. أفما كان له نصيب في هذا الحب؟ ولم يصر النصارى على الحب الممزوج بالدماء؟ هل أرسل الله خالق الكون العظيم ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التي لا تساوي في مجموعها كوكباً من الكواكب المتناهية في الصغر، لكي يعاني موتاً وحشياً على الصليب لترضية النقمة الإلهية – المزعومة –على البشر، ولكي يستطيع أن يغفر للبشرية ذنبها، على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجي؟ هل هذا ما يريد منا النصارى تصوره!

ثم إن كان خطأ آدم قد احتاج لتجسد إله وصلبه من أجل أن يغفر، فكم تحتاج معاصي بنيه من آلهة تصلب؟ إن جريمة قتل المسيح التي يدعيها النصارى أعظم وأكبر من معصية آدم، وأعظم منها ما نسبه القوم لأنبيائهم من القبائح التي لا تصدر إلا عن حثالة البشر.

يقول فولتير: « إذا كانت المسيحية تعتبرنا خطاة حتى قبل أن نولد، وتجعل من خطيئة آدم سجناً للبريء والمذنب. فما ذنب المسيح كي يصلب أو يقتل؟ وكيف يتم الخلاص من خطيئة بارتكاب خطيئة أكبر؟ » .

ولنا أن نتساءل لم كان طريق الخلاص عبر إهلاك اليهود وتسليط الشيطان عليهم وإغراء العداوة بين اليهود والنصارى قروناً طويلة. إن

الحكمة تفرض أن يكون الفداء بأن يطلب المسيح من تلاميذه أن يقتلوه، ويجنب اليهود معثرة الشيطان، ويقع الفداء.

1.63 من الذي خلص بصلب المسيح ؟

وقد حار علماؤنا في فهم نصوص الفداء المتناقضة، كما حاروا في فهم ما يريده النصارى من الغفران، هل الغفران خاص بالنصارى أم أنه عام لكل البشر، وهل هو خاص بذنب آدم الموروث أم أنه عام في جميع الخطايا؟

كما تبقى في ذمة النصارى أسئلة تحير الإجابة عنها إن كان من إجابة.

منها: لماذا تأخر صلب المسيح طوال هذه القرون ؟ هل كان ثمة حيرة في البحث عن الحل فكان سبباً في التأخير. لماذا لم يصلب المسيح بعد ذنب آدم مباشرة ؟ أو لماذا لم يتأخر الصلب إلى نهاية الدنيا بعد أن يذنب جميع الناس ليكون الصلب تكفيراً لذنوب هؤلاء جميعاً.

ثم ما هو مصير أولئك الذين ماتوا قبل الصلب، ماتوا وقد تسربلوا بالخطيئة أين كان مصيرهم إلى أن جاء المسيح فخلصهم ؟ لماذا تأخر خلاصهم.

والسؤال الأهم تحديد من الذين يشملهم الخلاص ؟ هل هو لكل الناس أم للمؤمنين فقط؟ وهل هو خلاص من جميع الخطايا أم من خطيئة آدم؟ لعل الإجابة عن هذين السؤالين من أصعب النقاط التي تواجه الفكر

المسيحي، فالكنيسة تقول: « آمنوا بأن المسيح صلب لخلاصكم فتخلصون، لأن صلبه فداء لكل خطايا البشر وتكفير لها» .

ولنتأمل في إجابة النصارى على هذه الأسئلة التي طرحناها.

يقول أوغسطينوس بأن الإنسان وارث للخطيئة، غير مفدي إلا إذا آمن بالمسيح، ودلالة الإيمان التعميد، فمن عمد فدي ونجا، ومن لم يُعمد لا ينجو ولو كان طفلاً، فإن الأطفال الذين ماتوا قبل التعميد يقول عنهم أكونياس: « سوف لا يتمتعون برؤية ملكوت الرب » .

ولا ندري كيف يبرر أوغسطينوس تعذيب هؤلاء الأطفال وحرمانهم من الملكوت، لا بذنب أذنبوه، بل خطيئة أورثوها من غير حول منهم ولا قوة، ثم قصر آباءهم فلم يعمدوهم.

وأما الذين ماتوا قبل المسيح فإن أوغسطينوس يرى بأنهم أيضاً لا ينجون إلا بالإيمان بالمسيح.

ولم يبين أوغسطينوس كيف يتسنى لهؤلاء الإيمان بالمسيح وقد ماتوا، ولعله أراد ما قاله بطرس عن أن المسيح « ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً، حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح...» بطرس 1- 19/3 ، ومراده ما يقوله النصارى بدخول المسيح إلى الجحيم وإخراجه أرواح الناجين من الجحيم.

إن المتأمل في سيرة المسيح وأقواله يرى بوضوح أن دعوة المسيح كانت لبني إسرائيل، وأنه نهى تلاميذه عن دعوة غيرهم، وعليه فالخلاص أيضاً يجب أن يكون خاصاً بهم، وهو ما نلمسه في قصة المرأة الكنعانية التي قالت له: « ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة واحدة، فتقدم إليه تلاميذه، وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعني، فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب.

فقالت: نعم يا سيد، والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها. حينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم إيمانك، وليكن لك كما تريدين، فشفيت ابنتها من تلك الساعة » **متى 22/15 – 28 فالمسيح لم يقم بشفاء ابنة المرأة الكنعانية وهو قادر عليه، فكيف يقوم بالفداء عن البشرية جمعاء ؟**

ويوضح عبد الأحد داود – في كتابه الإنجيل والصليب – هذا المعنى بقوله: فها أنذا أقول لهؤلاء المسيحيين الذين يبلغ عددهم الملايين وهم ليسوا من الإسرائيليين: انظروا، إن مسيحكم لم يعرفكم قطعاً ولم ينقل عنه أنه قال عنكم حرفاً واحداً، بل إنه سمى غير الإسرائيليين كلاباً ... أتعلمون ماذا أنتم حسب شريعة موسى ؟ إن الذين لم يختتنوا إنما يعدون ملوثين نجساً .

ويقول أيضاً في تعليقه على قصة المرأة: المسيح لم يكن ليفدي أحداً بحياته، بل لم يكن يسمح بتقديم قلامة من أظفاره هدية للعالم، فضلاً

عن أنه لم يتعهد للروس والإنجليز والأمريكيين بالنجاة، لأنه لم يعرفهم....

فكما كانت رسالته خاصة في بني إسرائيل، فإن خلاصه خاص ببني إسرائيل بدليل اشتراطهم الإيمان به لحصول الخلاص، وهو أمر لا دليل عليه حيث أن صلب المسيح وموته لا علاقة له بإيمان هؤلاء أو كفرهم، فالصلب قد تم من أجل الخطايا برمتها كما ذكرت النصوص ذلك غير مرة. انظر يوحنا 16/3 – 17، ويوحنا 1– 2/2..

والإصرار على نجاة المؤمنين فقط يجعل تجسد الإله نوعاً من العبث، فهو لم يؤد الدور الذي بعث من أجله، إذ عدد المؤمنين بمسألة الفداء أقل بكثير من المنكرين.

ويرد هنا سؤال: ما معنى قول بولس وهو يخاطب نصارى أهل كورنثوس فيقول: « إنه يتضايق لأجل خلاصهم » كورنثوس 2– 6/1 ، والمفروض أنهم قد خلصوا ونجوا فمم يخاف بولس عليهم ؟.

1.65 الدينونة دليل بطلان عقيدة الخلاص

وتتحدث النصوص المقدسة عند النصارى عن الدينونة والجزاء الأخروي الذي يصير إليه العصاة والمذنبون من النصارى وغيرهم، وهو مبطل لمعتقدات كافة الفرق النصرانية في الفداء.

فالنصارى يتحدثون في أناجيلهم عن الدينونة التي يعطيها الله يومئذ

للمسيح، ففي يوحنا « وقد أعطاه السلطان لأن يدين، لأنه ابن إنسان » **يوحنا 27/5**

.

كما تتحدث النصوص المقدسة أيضاً عن وعيد في النار لبعض أبناء البشر، فدل ذلك على أنهم غير ناجين « متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته.. » **متى 31/25 – 42**

.

ومثله قوله: « يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون في ملكوته جميع المعاثر، وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار » **متى 41/13–42** .

ومثله أيضاً قول متى: « وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي » **متى 32/12** .

ومثله تهديد يوحنا المعمدان لبني إسرائيل من الاتكال على النسب من غير توبة وعمل صالح، إذ يقول: « يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم: لنا إبراهيم أباً » **متى 7/3 – 9** .

ويقول المسيح لهم: « أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم » **متى 33/23 ، فلم يحدثهم عن الفداء الذي سيخلصون به من الدينونة.**

بل توعدهم بجهنم فقال أيضاً: « خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله في جهنم » **متى 29/5** .

وفي التوراة: « أليس ذلك مكنوزاً عندي، ومختوماً عليه في خزائني: لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم » **التثنية 34/32** .

ومثله ما جاء في سفر حزقيال حيث توعد الله الذي لا يتوبون من بني إسرائيل أو غيرهم فقال: « توبوا، وارجعوا عن أصنامكم وعن كل رجاساتكم... لأن كل إنسان من بيت إسرائيل أو من الغرباء... إذا ارتد عني... أجعل وجهي ضد ذلك الإنسان، وأجعله آية ومثلاً واستأصله » **حزقيال 6/14 – 8** .

وقد خاطب المسيح تلاميذه: « فإني أقول لكم: إنكم أن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات.. وأما أنا فأقول لكم أن كل من يغضب على أخيه باطلاً، يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه: رقا، يكون مستوجب المجمع، ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم» **متى 20/5–23** .

فلو كان الناس كلهم ينجون بالفداء كما قال البرتستانت، لما كان لهذه النصوص معنى.

ثم إن كان الفداء عاماً لكل البشر ولكل الخطايا، فإن هذا الفداء يشمل الإباحيين الذين يرتكبون الموبقات ويملؤون الأرض بالفساد، وتكون عقيدة الفداء دعوة للتحلل والفساد باسم الدين.

ثم القول بفداء الجميع يجعل ضمن الناجين أعداء الأنبياء كفرعون وقارون واليهود الذي تآمروا على المسيح، كما يشمل يهوذا فلماذا تركه المسيح ينتحر؟ ولماذا لم يخبره بأن خلاصه قريب جداً، وأن لا داعي للانتحار.

إن أبرز ما يلحظه الدارس لعقيدة الفداء اقترانها ببولس منذ نشأتها، وقد أراد بولس منها أن تكون ذريعة لإلغاء الشريعة والناموس، حيث جعل الخلاص بالإيمان فقط من غير حاجة للعمل الصالح، فأضحى الفداء ليس مجرد خلاص من الذنوب، بل هو خلاص حتى من العمل الصالح.

وقد أكثر بولس من التجريح للشريعة الموسوية ومن ذلك قوله: « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمل شيئاً، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله » **عبرانيين 18/7 – 19**

ويقول عن الناموس أيضاً: « وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » **عبرانيين 13/8 .**

ويقول عنه: « فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلبت موضع لثانٍ » **عبرانيين 7/8**

ويتجنى بولس على شريعة الله فيعتبرها سبباً للخطيئة فيقول: « لم أعرف خطيئة إلا بالناموس، فإني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس: لا تشته... لأن بدون الناموس الخطيئة ميتة.. لما جاءت الوصية عاشت الخطيئة فمت أنا » **رومية 7/7 – 9 .**

ويسمى الشريعة لعنة فيقول: « المسيح افتدانا من لعنة الناموس » **غلاطية 13/3**

وقد سماه لعنة لأنه بسبب اللعنة عند عدم الامتثال لأوامره « لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في الكتاب الناموس ليعمل به، ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله » **غلاطية 10/3 – 11 .**

ويعلن عن عدم الحاجة إليه بعد صلب المسيح فيقول: « قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب » غلاطية 3/24 – 25 .

ويؤكد إبطال الناموس فيقول: « سلامنا الذي جعل الاثنين واحد... مبطلاً بجسده ناموس الوصايا » أفسس 2/14–5 .

ويقول: « الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما » غلاطية 2/16

وهؤلاء الذين يصرون على العمل بالناموس يسيئون للمسيح « قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس » غلاطية 5/4 لأنه « إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب » غلاطية 2/21 ، « أبناموس الأعمال، كلا بل بناموس الإيمان إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس » رومية 3/27–28 .

وجعل بولس الإيمان سبيلاً للبر والنجاة كافياً عن الناموس والأعمال التي عملها اليهود ولم يحصلوا بها على البر « إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر، البر الذي بالإيمان، ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر، لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان، بل كأنه بأعمال الناموس، فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة » رومية 9/30 – 31 .

ويقول أيضاً: « الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع الذي أبطل الموت، وأنار الحياة والخلود » تيموثاوس 2– 9/1 – 10 .

ويواصل: « ظهر لطف فخلصنا الله وإحسانه، لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » **تيطس 3/4 – 5 .**

ولذلك فإن بولس يعلن إباحته لكل المحرمات من الأطعمة مخالفاً التوراة وأحكامها انظر التثنية 14/1–24 ، فيقول: «أنا عالم ومتيقن في الرب يسوع أن لاشيء نجس في حد ذاته، ولكنه يكون نجساً لمن يعتبره نجساً » **رومية 14/14 ،**

ويقول: «كل شيء طاهر للأطهار، وما من شيء طاهر للأنجاس» **تيطس 1/ 15 ،** «لأن كل خليقة الله جيدة، ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر» **تيموثاوس 1– 4/4 .**

وهكذا وفي نصوص كثيرة أكد بولس أن لا فائدة من العمل الصلح والشريعة في تحصيل النجاة، وأن البر إنما يتحقق بالإيمان وحده، وقد كان لهذه النصوص صدىً كبيراً في النصرانية ونظرتها للشريعة.

فيقول لوثر أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي « إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك، إنه يرفض أعمالنا.... إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جداً، وأن تكثر عددها » .

ويقول في تعليقه على يوحنا 16/3 « أما أنا فأقول لكم إذا كان الطريق المؤدي إلى السماء ضيقاً وجب على من رام الدخول فيه أن يكون نحيلاً رقيقاً... فإذا ما سرت فيه حاملاً أعدالاً مملوءة أعمالاً صالحة، فدونك أن تلقيها عنك قبل دخولك فيه، وإلا لامتنع عليك الدخول بالباب الضيق.. إن الذين نراهم حاملين الأعمال الصالحة هم أشبه بالسلاحف، فإنهم أجانب عن الكتاب المقدس. وأصحاب القديس يعقوب الرسول فمثل هؤلاء لا يدخلون أبداً » .

ويقول: « إن السيد المسيح كي يعتق الإنسان من حفظ الشريعة الإلهية قد تممها هو بنفسه باسمه، ولا يبقى على الإنسان بعد ذلك إلا أن يتخذ لنفسه، وينسب إلى ذاته تتميم هذه الشريعة

بواسطة الإيمان، ونتيجة هذا التعليم هو أن لا لزوم لحفظ الشريعة، ولا للأعمال الصالحة » .

ويقول ميلا نكتون في كتابه – الأماكن اللاهوتية : « إن كنت سارقاً أو زانياً أو فاسقاً لا تهتم بذلك، عليك فقط أن لا تنسى أن الله هو شيخ كثير الطيبة، وأنه قد سبق وغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن مديد » .

ويقول القس لبيب ميخائيل: « الأعمال الصالحة حينما تؤدى بقصد الخلاص من عقاب الخطيئة تعتبر إهانة كبرى لذات الله، إذ أنها دليل على اعتقاد من يقوم بها، بأن في قدرته إزالة الإساءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله عن طريق عمل الصالحات... وكأن قلب الله لا يتحرك بالحنان إلا بأعمال الإنسان، وياله من فكر شرير ومهيمن » ، **وهذا ما قاله بولس** « الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس.. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما.. لأنه إن كان الناموس بر، فالمسيح إذاً مات بلا سبب » **غلاطية 16/2 – 21 .**

وهكذا كانت عقيدة الخلاص البولسية سبيلاً لإلغاء الشريعة والتحلل من التزاماتها.

الخلاص والأعمال عند المسيح وتلاميذه 1.67

وإذا كان بولس ولوثر ومن بعده لا يريان للأعمال والناموس فضلاً في تبرير الإنسان وفدائه فإن ثمة نصوص كثيرة تشهد بغرابة هذه الفكرة، وأن الأعمال هي الطريق إلى ملكوت الله.

ومن ذلك أن المسيح لم يذكر شيئاً عن الخلاص بغير عمل في نصائحه لأتباعه فقد جاءه رجل: «وقال له: أيها المعلم الصالح: أية صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟

فقال له: لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له أية الوصايا ؟ فقال يسوع: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور... » متى 16/19 – 20

فلم يطلب منه المسيح الإيمان فقط، بل طالبه بالعمل بما جاء في وصايا موسى عليه السلام انظر الخروج 1/20 – 7 .

وفي مرة أخرى قال لهم المسيح: « فإني أقول لكم: إن لم يزد بِركم على الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت السماوات » متى 20/5 .

ويشرح النص العلامة ديدات: « أي لا جنة لكم حتى تكونوا أفضل من اليهود. وكيف تكونون أفضل من اليهود، وأنتم لا تتبعون الناموس والوصايا ؟ » .

وفي موضع آخر يقول ينبه إلى أهمية الكلام وخطره، فيقول: « أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان» متى 36/13–37 .

وأكد المسيح على أهمية العمل الصالح والبر، فقال للتلاميذ: « ليس كل من يقول: لي يا رب يا رب، يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرّح لهم: إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم» متى 20/7–21 .

وضرب بعده لتلاميذه مثلاً بيّن فيه حال العامل بالناموس فقال لهم: « لماذا تدعونني يا رب يا رب. وأنتم لا تفعلون ما أقوله، كل من يأتي إلي، ويسمع كلامي، ويعمل به، أريكم من يشبه ؟

يشبه إنساناً بنى بيتاً وحفر وعمق، ووضع الأساس على الصخر، فلما حدث سيل صدم النهر

ذلك البيت، فلم يقدر أن يزعزعه لأنه كان مؤسساً على الصخر.
وأما الذي يسمع ولا يعمل فيشبه إنساناً بنى بيته على الأرض ومن دون أساس، فصدمه النهر حالاً، وكان خراب ذلك البيت عظيماً » . **لوقا 6/46 – 49** .

ويلاحظ أدولف هرنك أن رسائل التلاميذ خلت من معتقد الخلاص بالفداء، بل إنها جعلت الخلاص بالأعمال كما جاء في رسالة يعقوب « ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد:إنّ له إيماناً، ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلصه ؟ الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته.. الإيمان بدون أعمال ميت » **يعقوب 2/14 – 20** .

ويقول: « كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسكم » **يعقوب 1/22** ،

ويقول: « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم » **يعقوب 1/27 .ومثل هذا كثير في أقوال المسيح والحواريين.**

والعجب أن بولس نفسه الذي أعلن نقض الناموس وعدم فائدة الأعمال، وأن الخلاص إنما يكون بالإيمان، هو ذاته أكد على أهمية العمل الصالح في مناسبات أخرى منها قوله « إن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً... فلا تفشل في عمل الخير لأننا سنحصده في وقته » **غلاطية 6/7** .

ويقول: « بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » **رومية 2/13** .

ومنها قوله: « ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً، بل حفظ وصايا الله » **كورنثوس 1– 7/19** .

وفي رسالته لتيموثاوس يقول بولس: « أوصي الأغنياء... وأن يصنعوا صلاحاً، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء، كرماء في التوزيع، مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية » **تيموثاوس 1- 17/6 – 19 .**

ويقول: «كل واحد سيأخذ أجرته حسب تعبه» **كورنثوس 1- 8/3 .**

وأخيراً فإن بولس بتنقصه السالف للناموس وإبطاله له مستحق للوعيد الشديد الذي جعله المسيح لمثل هذا الفعل وذلك بقوله: « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات » **متى 17/5 – 19 .**

وفي شأن الناموس وتعظيمه قال المسيح: « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » **لوقا 17/16 .**

وجاء في سفر التثنية « ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها » **التثنية 26/27 .**

1.68 مصادر عقيدة الفداء والخلاص

في مجمع نيقية المنعقد في سنة 325م. تقررت عقيدة الفداء والخلاص، وقد صدر عنه الأمانة وفيها: « الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل

وتجسد وتألم ومات، وقام أيضاً في اليوم الثالث » .

فمن أين استقى المجتمعون هذه العقيدة المهمة من عقائد النصرانية.

1.69 دور بولس في نشأة فكرة الفداء في النصرانية

يعتبر بولس الأب الحقيقي لقصة الفداء والخلاص في النصرانية، حيث تظهر بجلاء ووضوح في في كلماته كما قد بينا بعضه من قبل، وأوضحها قوله: « ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيراً، ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب، لأنه وإن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه.. من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع... لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي.. لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون، فبالأولى كثيراً نعمة الله، والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين... » **رومية 8/5 – 15** .

وقد صرح بولس بأهمية فكرة الفداء عنده إذ قال: « لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » **كورنثوس 1– 2/2** .

ويقول في ذلك الأب بولس إلياس الخوري: « مما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره، فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد، ليفتديهم على الصليب...... وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا » .

ويقول ارنست دي بوش في كتابه – الإسلام: أي النصرانية الحقة « إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه، من

الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية الأصلية » .

ففكرة الفداء والخلاص بدعة بولسية لم يقلها المسيح، ولم يعرفها الحواريون، فنصوص الأناجيل التي تحدثت عن الفداء نصوص لا يفهم منها خالي الذهن تلك العقيدة التي فهمها النصارى.

وعقيدة بهذه الأهمية ما كان المسيح ليضنّ على البشر ببيانها وتوضيحها، إذ يزعمون أن مصير البشرية يتعلق بالإيمان بها، فقد تعلق بها هلاك البشر ونجاتهم.

ويحاول النصارى التأكيد على ورود هذا المعتقد على لسان المسيح وتلاميذه، ويتعلقون ببعض نصوص الإنجيليين، ومن هذه النصوص: قول متى « فستلد ابناً، وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» متى 21/1 ومثله « إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » لوقا 11/2 ومثله « لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته لجميع الشعوب » لوقا 30/2 و « كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم، بل ليَخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » متى 28/20 و «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » متى 28/26 و « لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك » لوقا 10/19 .

ولعل أوضح نصوص الأناجيل ما كتبه يوحنا: « لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم » يوحنا 16/3 – 17 ،

وأول ملاحظة نذكرها أن أغلب هذه النصوص هي من قول التلاميذ، ولم

ينسبوها للمسيح، ثم هذه النصوص جميعاً قد كتبت بعد أن دون بولس رسائله، فأول الإنجيليين تأليفاً هو مرقس، وقد دون إنجيله بعد وفاة بولس سنة 67م.

ولا ريب أن في هذه النصوص – رغم عدم قطعية دلالتها على عقيدة النصارى – صدىً لما كان قد خطه بولس في رسائله.

وهذه النصوص خلت من الحديث عن الخطيئة الأولى الموروثة وخطايا العالم اللاحقة والماضية، وأين فيها الحديث عن الحرية المسلوبة، والإرادة.... وعليه فإن خالي الذهن لا يمكن أن يتوصل إلى معتقد النصارى من خلال هذه النصوص، التي يمكن حملها على معاني مجازية، كما لو قيل إن فلاناً ضحى بنفسه من أجل أمته...

فقد وصف يوحنا المعمدان بالمخلص، وعمله بالفداء، وليس المقصود الفداء الذي يذكره النصارى للمسيح، بل الفداء والتطهير والخلاص بالتوبة والعمل الصالح، وهو سبيل الخلاص من مكر الأعداء وتسلطهم، فقد سمي موسى فادياً، يقول الله عن موسى: «هذا موسى الذي أنكروه قائلين: من أقامك رئيساً وقاضياً، هذا أرسله الله رئيساً وفادياً بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة، هذا أخرجهم صانعاً عجائب وآيات في أرض مصر وفي البحر الأحمر، وفي البرية أربعين سنة» أعمال 7/35 .

يقول لوقا عن يوحنا المعمدان، وقبل أن يولد المسيح: « وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه. وأقام لنا قرن

خلاص في بيت داود فتاه... خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا... وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى، لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعدّ طرقه. لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم، بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام » **لوقا 1/67–79** .

وعلى هذا النحو سمى التلميذان المسيح فادياً، فقالا: « كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه. ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل » **لوقا 20/24–21 ، أي كنا نرجو أن يكون خلاص بني إسرائيل على يديه، لكنهم صلبوه وقتلوه.**

وهذا المعنى من معاني الفداء والخلاص معروف في الأسفار التوراتية التي تحدثت عن نجاة بني إسرائيل من المصائب، «أخرجكم الرب بيد شديدة، وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر» **التثنية 8/7 ومثله في التثنية 5/13 ، ومثله في قوله:** «اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب، ولا تجعل دم بري في وسط شعبك إسرائيل، فيغفر لهم » **التثنية 8/21–9**

وكذا في سفر المزامير سمى الرب فادياً «الرب فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يعاقب» **المزامير 22/34 ، وفي نص آخر يؤكد هذا المعنى للفداء والخلاص، فيقول:** « هكذا قال الرب فادي إسرائيل: قدوسُه للمهان النفس، لمكروه الأمة، لعبد المتسلطين» **إشعيا 7/49 ، فأطلق على الله لقب الفادي والمخلص، فالفداء أو الخلاص له معان أوسع من الذبيحة والمعاوضة التي يصر عليها بولس.**

فهي نصوص تتحدث فداء وخلاص، وذلك برحمة من الله وفضل، من غير فاد ولا دم مسفوح.

وقد مال إلى تبسيط معاني تلك النصوص التي يحتج بها النصارى على الفداء والكفارة منكرو معتقد الكفارة والفداء من النصارى أنفسهم كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية، ومنهم الفرقة السوزينية، والمؤرخ كوائليس تيسي، وايبي لارد.

ولئن كانت الفكرة تائهة عند الإنجيلين فهي كذلك عند بقية تلاميذ المسيح وحوارييه الذين لا تجد لديهم بقصة الفداء خبراً، فلم ترد عنهم نصوص تبيين علمهم بهذه المسألة، وهذا لا ريب دال على كونها من صنع بولس وتأليفه وأن المسيح لم يخبر بها، ولم يعلمها أصلاً.

وفي ذلك يقول شارل جنيبر: « إن موت عيسى في نظر الإثني عشر ليس بالتضحية التكفيرية » .

والحواريون لم يعلموا أصلاً بأن المسيح سيصلب كما قال مرقس: « كان يعلم تلاميذه، ويقول لهم: إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث، وأما هم فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه » مرقس 9/30 – 32 .

ويدل على جهل تلاميذ المسيح بمسألة الفداء ما ذكره لوقا حين قال عن حال التلميذين المنطلقين لعمواس « فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين فقال لهما ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين....كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه. ونحن كنا نرجو أنه هو

المزمع أن يفدي إسرائيل. ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك » **لوقا 24/17–21** . لقد جهل التلميذان موضوع الخلاص بموت المسيح، فهما يبحثان عن خلاص آخر، وهو الخلاص الذي يأتي به النبي الذي تنتظره بنو إسرائيل.

ومثله أيضاً جهلت الجموع التي شهدت الصلب أن ذلك يكفر الخطيئة ويرفعها، ولنتأمل ما ذكره لوقا في وصف الجموع وحزنهم على المسيح « وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم، وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك » **لوقا 48/23 – 49** .

ولو كان ما يقوله النصارى في الفداء صحيحاً لكان ينبغي أن يحتفلوا بموت المسيح لخلاص البشرية وخلاصهم من الذنب الذي ناءت بحمله البشرية قروناً مديدة.

1.70 عقيدة الفداء والوثنيات السابقة

ويبقى ثمة سؤال يطرح نفسه من أين أتى بولس بهذه العقيدة هل هي من إبداعاته الذاتية أم أنه استقاها من مصادر قديمة، وإن كان كذلك فما هي هذه المصادر، وما مقدار استفادة بولس منها ؟

الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها سطرها الأستاذ التنير في كتابه الماتع –

العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، وعنه ننقل الكثير من صور التشابه التي نذكرها.

وراثة الذنب 1.71

مسألة وراثة الذنب مسألة معروفة في الفكر اليهودي قبل المسيحية بقرون عدة، وقد وردت عدة نصوص تتحدث عنها منها.. « صانع الإحسان لألوف، ومجازي ذنب الآباء في حضن بنيهم بعدهم، الإله العظيم الجبار رب الجنود اسمه » **إرميا 18/32 .**

ومثله ما جاء في سفر التثنية: « لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر » **التثنية 2/23 .**

وجاء في سفر العدد « الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة، ولكنه لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع » **العدد 18/14 – 19 .**

وفي سفر الخروج « غافر الإثم والمعصية والخطيئة، ولكنه لن يبرئ إبراء، معتقد إثم الآباء في الأبناء، وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع » **خروج 7/34 .**

ومثله ما نسبوه لدواد أنه قال: « هأنذا بالإثم صورت، وبالخطيئة حبلت بي أمي » **مزمور 5/51 ، وقد تحدث إرميا عن احتجاج بني إسرائيل على هذا الظلم** « انظر إرميا **10/16 – 13** .

وقد ناقش النبي حزقيال كما جاء في سفره – بني إسرائيل في مسألة وراثة الذنب » **أنتم**

تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب ؟!

ها كل النفوس هي لي،.. النفس التي تخطئ تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون... « حزقيال 4/18 – 32 .

تحدثت هذه النصوص عن وجود عقيدة وراثة الذنب والتضامن في الخطيئة، غير أن أحداً منها لم يكن يتحدث عن الخطيئة الأصلية لآدم، والتي يتعلق النصارى بها، لكن أصل الفكرة وارد في الفكر اليهودي الذي نشأ فيه بولس ثم نقله للنصرانية وسطره في رسائله.

فمن أين جاء اليهود بفكرة وراثة الذنب ؟ هل هو من صناعتهم، أم أنه منقول عن غيرهم؟

والصحيح هو أن الفكرة منقولة عن الأمم الوثنية التي جاورت اليهود وانتشر فيها هذا الفكر وهذا الذي عابه عليهم الكتاب المقدس » وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم، والذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم.... فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ^ ملوك 2– 9/17 – 18 .

وممن يقول بوراثة الذنب: الهنود الوثنيون، فقد نقل المؤرخ هورينور وليمس أن من تضراعاتهم: « إني مذنب، ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة، وحملتني أمي بالإثم، فخلصني يا ذا العين الحندقوقية، يا مخلص الخاطئين، يا مزيل الآثام والذنوب » .

1.72 فكرة الفادي في الوثنيات القديمة

وكذلك سرت في الوثنيات فكرة الفادي والمخلص الذي يفدي شعبه أو قومه وكانت الأمم البدائية تضحي بطفل محبوب، لاسترضاء السماء، وفي تطور لاحق أضحى الفداء بواسطة مجرم حكم عليه بالموت، وعند

البابليين كان الضحية يلبس أثواباً ملكية، لكي يمثل بها ابن الملك، ثم يجلد ويشنق.

وعند اليهود خصص يوم للكفارة يضع فيه كاهن اليهود يده على جدي حي، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكب بنو إسرائيل من مظالم، فإذا حمل الخطايا أطلقه في البرية. ومعلوم أيضاً ما للبكر من أهمية خاصة عند اليهود إذ تقول التوراة « قدس لي كل بكر، كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم إنه لي » الخروج 2/13 ، والمسيح هو بكر الخلائق، وأليقها بأن يكون البكر المذبوح.

1.73 موت الإله الفادي

وأما فكرة موت الإله فهي عقيدة وثنية حيث كان العقل اليوناني يحكم بموت بعض الآلهة، لكن اليونان كانوا يحتفظون بآلهة هنا تسير دفة الكون، بينما النصارى حين قالوا بموت الإله لم يحتفظوا بهذا البديل، ولم يخبرونا من الذي كان يسير الكون خلال الأيام التي مات فيها الإله. أي الثلاثة أيام التي قضاها في القبر، ولا ينطبق هذا الكلام إلا على الأرثوذكس الذين يقولون بأن الله هو المسيح.

والفداء عن طريق أحد الآلهة أو ابن الله أيضاً موجودة في الوثنيات القديمة كما وقد ذكر السير آرثر فندلاي في كتابه – صخرة الحق :

أسماء ستة عشر شخصاً اعتبرتهم الأمم آلهة سعوا في خلاص هذه الأمم. منهم

أوزوريس في مصر 1700 ق.م،

وبعل في بابل 1200ق.م،

وأنيس في فرجيا 1170 ق.م،

وناموس في سوريا 1160 ق.م،

وديوس فيوس في اليونان 1100 ق.م،

وكرشنا في الهند 1000 ق.م،

وأندرا ني التبت 725 ق.م،

وبوذا في الصين 560 ق.م،

وبرومثيوس في اليونان 547 ق.م،

ومترا – متراس – في فارس 400 ق.م.

ولدى البحث والدراسة في معتقدات هذه الأمم الوثنية نجد تشابهاً كبيراً مع ما يقوله النصارى في المسيح المخلص.

فأما بوذا المخلص عند الصينيين فلعله أكثر الصور تطابقاً مع تخلص النصارى، ولعل مرد هذا التشابه إلى تأخره التاريخي فكان تطوير النصارى لذلك المعتقد قليلاً.

والبوذيون كما نقل المؤرخون يسمون بوذا المسيح المولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم حتى لا يعاقبوا عليها.

وجاء في أحد الترنيمات البوذية عن بوذا : عانيت الاضطهاد والامتهان والسجن والموت والقتل بصبر وحب عظيم لجلب السعادة للناس،

وسامحت المسيئين إليك.

ويذكر مكس مولر في كتابه – تاريخ الآداب السنسكريتية : فيقول:

البوذيون يزعمون أن بوذا قال دعوا الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع على كي يخلص العالم .

ويرى البوذيون أن الإنسان شرير بطبعه، ولا حيلة في إصلاحه إلا بمخلص ومنقذ إلهي.

وكذلك فإن المصريين يعتبرون أوزوريس إلهاً ويقول المؤرخ بونويك في كتابه – عقيدة المصريين: يعد المصريون أوزوريس أحد مخلصي الناس، وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقي اضطهاداً، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل .

ويوافقه العلامة دوان والعلامة موري في كتابه – الخرافات .

كما تحدث المؤرخون عن قول المصريين بقيامة مخلصهم بعد الموت، وأنه سيكون ديان الأموات يوم القيامة.

ويذكر هؤلاء في أساطيرهم أن أوزوريس حكم بالعدل فاحتال عليه أخوه وقتله، ووزع أجزاء جسمه على محافظات مصر، فذهبت أرملته أيزيس فجمعت أوصاله من هنا وهناك، وهي تملأ الدنيا نحيباً وبكاءً فانبعث نور إلى السماء، والتحمت أوصال الجسد الميت، وقام إلى السماء يمسك بميزان العدل والرحمة.

وكذلك اعتقد الهنود في معبودهم كرشنا أنه مخلص وفادي. يقول القس جورج كوكس: «يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً، لأنه قدم شخصه ذبيحة » ويعتقدون أن عمله لا يقدر عليه أحد.

ويقول المؤرخ دوان: « يعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له – على رأيهم – تحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه » ومثله يقوله العلامة هوك.

ويصف الهنود أشكالاً متعددة لموت كرشنا أهمها أنه مات معلقاً بشجرة سمر بها بحربة. وتصوره كتبهم مصلوباً وعلى رأسه إكليل من الذهب

ويقول العلامة دوان « إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود والوثنيين» .

وكذلك اعتقد أهل النيبال بمعبودهم أندرا، ويصورونه وقد سفك دمه بالصلب، وثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم كما وصف ذلك المؤرخ هيجين في كتابه: الانكلوسكسنس.

وحتى لا نطيل نكتفي بهذه الصور التي اعتقد أصحابها بسفك دم الآلهة قرباناً وفداء عن الخطايا ومثلها في الوثنيات القديمة كثير

الدم المسفوح سبيل الكفارة 1.74

وليست مسألة المخلص فقط هي التي نقلها بولس عن الوثنيات، فقد تحدث أيضاً عن دم المسيح المسفوح فقال « يسوع الذي قدمه الله كفارة

بالإيمان بدمه » **رومية 25/3 ، ويقول** « ونحن الآن متبررون بدمه » **رومية 9/5** « أليست هي شركة دم المسيح » **كورنثوس 1– 16/10**

ويقول « أنعم بها علينا في المحبوب الذي فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا » **أفسس 7/1 .**

وفي موضع آخر يتحدث عن ذبح المسيح « لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا » **كورنثوس 1– 7/5 .**

ومثل هذه النصوص تكثر في رسائل بولس وغيرها من الرسائل لكن النصارى يتغافلون عن مسألة هامة هي أن المسيح لم يذبح، فالأناجيل تتحدث عن موت المسيح صلباً لا ذبحاً، الموت صلباً لا يريق الدماء، ولم يرد في الأناجيل أن المسيح نزلت منه الدماء سوى ما قاله يوحنا، وجعله بعد وفاة المسيح حيث قال «.. وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات، لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء » **يوحنا 23/19 – 24 . وهو ليس ذبحاً بكل حال.**

يقول ولز: « إنه لزام علينا أن نتذكر أن الموت صلباً لا يكاد يهرق من الدم أكثر مما يريقه الشنق، فتصوير يسوع في صورة المراق دمه من أجل البشرية إنما هو في الحقيقة من أشد العبارات بعداً عن الدقة » .

والنظرة إلى الله بأنه لا يرضى إلا بأن يسيل الدم نظرة قديمة موجودة عند اليهود وعند الوثنيين قبلهم، ففي التوراة تجد ذلك واضحاً في مثل « بنى نوح مذبحاً لله.. وأصعد محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال الرب في قلبه:

لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان » **تكوين 20/8 – 21**

« وبنى داود هناك مذبحاً للرب، وأصعد محرقات وذبائح سلامة، ودعا الرب، فأجابه بنار من السماء على مذبحة المحرقة » **الأيام 1– 26/21** .

وهكذا فإن التصور اليهودي للإله مشبع برائحة الدم يقول آرثر ويجال: « نحن لا نقدر أطول من ذلك قبول المبدأ اللاهوتي المفزع الذي من أجل بعض البواعث الغامضة وجوب تضحية استرضائية، إن هذا انتهاك إما لتصوراتنا عن الله بأنه الكلي القدرة، وإلا ما نتصوره عنه ككلي المحبة » .

ويرى كامل سعفان في كتابه القيم– دراسة عن التوراة والإنجيل: أن ادعاء إهراق دم المسيح مأخوذ من الديانة المثراسية حيث كانوا يذبحون العجل ويأخذون دمه، فيتلطخ به الآثم، ليولد من جديد بعد أن سال عليه دم العجل الفدية.

نزول الآلهة إلى الجحيم لتخليص الموتى 1.75

وتشابهت العقائد النصرانية مع الوثنيات القديمة مرة أخرى عندما قال النصارى بأن المسيح نزل إلى الجحيم لإخراج الأرواح المعذبة فيها من العذاب، ففي أعمال الرسل « سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه، ولم تترك نفسه في الهاوية، ولا رأى جسده فساداً » **أعمال 31/2 ، ويقول بطرس** « ذهب ليكرز للأرواح التي في السجن » **بطرس 1– 19/3** .

يقول القديس كريستوم 347م: « لا ينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا الكافر » .

ويقول القديس كليمندوس السكندري: « قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم

كما بشر به وعلمه لأهل الأرض كي يؤمنوا به ويخلصوا »

وبمثله قال أوريجن وغيره من قديسي النصارى.

وهذا المعتقد وثني قديم قال به عابدو كرشنا، فقالوا بنزوله إلى الجحيم لتخليص الأرواح التي في السجن، وقاله عابد وزورستر وأدونيس وهرقل وعطارد وكوتز لكوتل وغيرهم.

ولما وصل النصارى إلى أمريكا الوسطى، وجدوا فيها أدياناً شتى، فخف القسس لدعوتهم للمسيحية، فأدهشهم بعد دراستهم لهذه الأديان أن لها شعائراً تشبه شعائر المسيحية، وخاصة في مسائل الخطيئة والخلاص .

فكيف يفسر النصارى هذا التطابق بين معتقداتهم والوثنيات القديمة والذي جعل من النصرانية نسخة معدلة عن هذه الأديان ؟

يقول الأب جيمس تد المحاضر في جامعة اكسفورد: « سر لاهوتي فوق عقول البشر، وليس من الممكن تفسيره حسب تفسير وتصور هؤلاء البشر» .

وبعد: صدق الله إذ يقول عن النصارى « ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم اللّه أنّى يؤفكون» التوبة: 30

1.76 خاتمة

وبعد: وصلنا في نهاية مطافنا إلى إجابة سؤالنا الرابع في سلسلتنا، سلسلة الهدى والنور، حيث أجبنا بموضوعية ومنهجية علمية عن سؤالنا في هذه الحلقة: هل افتدانا المسيح على الصليب؟

لقد كشفت لنا الدراسة الموثقة عن جملة حقائق لا يسع الباحث عن الحقيقة إلا أن ينحني لها، فقد ثبت لدينا نجاة المسيح عليه السلام من الصلب كما أنبأنا بذلك أسفار العهد القديم، وكما وعد المسيح أتباعه في العهد الجديد، ورأينا مكر الله يحيق بالتلميذ الخائن الذي خان سيده، فانتشبت أرجله في الشبكة التي أخفاها ووقع في الحفرة التي حفرها.

ورأينا ما يثبت ما توصلنا إليه، فقد سجلته الدلائل المتلاحقة للأسفار، وقرأنا سطوره في تاريخ النصرانية، حيث تواصل إنكار النصارى لهذا الصلب المزعوم عبر تاريخ النصرانية القديم.

كما ثبت لدينا عند دراسة الشق الثاني أن البشر بريئون مما صنعه آدم قبل أن يولد كل واحد منا، وأن خطيئته لا تتجاوزه إلى غيره.

ووضح لنا أن ما يزعمه النصارى من توارث الخطيئة الأولى ولزوم الفداء بكائن إلهي، إنما هو هراء تستقذره العقول وترده الفطر، وظلم يتنزه الله عنه، وقد نقله بولس والمجتمعون في مجمع نيقية من قصص الوثنيات السابقة للنصرانية.

وإلى لقاء مع حلقة خامسة من حلقات سلسلة الهدى والنور، وحديثنا في الحلقة القادمة – إن شاء الله – بعنوان: هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم؟

* القرآن الكريم.

* الكتاب المقدس. طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

* إنجيل برنابا. ترجمة : خليل سعادة. ط. دار الوثائق. الكويت، 1406 هـ.

----

* الإنجيل والصليب. عبد الأحد داود. القاهرة، 1351هـ.

* براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح. محمد حسن عبد الرحمن. ط1. دار الكتاب الحديث، 1409هـ.

* خديعة الشيطان. أحمد ديدات. ترجمة : رياض أحمد باهبري. بيت الحكمة. ط2. القاهرة. 1413هـ

* الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام. أميمة أحمد الشاهين الجلاهمة. دار زهراء الشرق. القاهرة.

* دراسة عن التوراة والإنجيل. كامل سعفان. دار الفضيلة. القاهرة.

* دعوة الحق بين المسيحية والإسلام. منصور حسين عبد العزيز. ط2. مكتبة علاء الدين. الإسكندرية، 1972م.

* دين الله في كتب أنبيائه. محمد توفيق صدقي أفندي. ط1. دار المنار،

1330هـ.
* العقائد المسيحية بين القران والعقل. هاشم جودة. ط2. المركز العربي للنشر و التوزيع.
* العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر. محمد المجذوب. دار الشواف، 1992م.
* عقيدة الصلب والفداء. محمد رشيد رضا. الفتح للإعلام العربي، 1411هـ.
* الغفران بين الإسلام والمسيحية. إبراهيم خليل أحمد. ط1. دار المنار. القاهرة. 1409هـ.
* الفارق بين الخالق والمخلوق. عبد الرحمن البغدادي. ضبط وتعليق : عصام فارس الحرستاني. ط1. مكتبة دار عمار. عمان ، 1409هـ.
* قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة. محمد أبو الغيط الفرت. ط1. در الطباعة المحمدية، 1410هـ.
* ما هي النصرانية. محمد تقي العثماني. رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة، 1984م.
* محاضرات في مقارنة الأديان. إبراهيم خليل أحمد. ط2. دار المنار. القاهرة، 1412هـ.
* المسيح بين الحقائق والأوهام. محمد وصفي. دار الفضيلة.

* المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل. عبد الكريم الخطيب. ط1. دار الكتب الحديثة، 1965م.
* المسيح في مصادر العقائد المسيحية. أحمد عبد الوهاب. ط2. مكتبة وهبة. القاهرة، 1408هـ.
* مسيحية بلا مسيح. كامل سعفان. دار الفضيلة، 1994م.
* المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح. علاء أبو بكر. ط1. مكتبة وهبة. القاهرة، 1418هـ.
* معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير. إبراهيم الجبهان. ط4. عالم الكتب للنشر والتوزيع. الرياض، 1981م.
??